ميثاق الشرف الدعوي

هشام الطالب

ميثاق الشرف الدعوي

هشام الطالب

فكرة الميثاق هذه هي دعوة المسلمين عامة، والدعاة منهم خاصة، إلى التلاقي على مجموعة من القواعد والضوابط والمبادئ؛ تشكل في مجموعها ميثاق شرفٍ للعمل الدعوي، ودستور ثقافة للفكر والممارسة؛ بحيث تزداد مساحة الوفاق والصواب والفاعلية، وتقلّ مساحة الخلاف والخطأ والعطالة.

يهدف هذا الميثاق إلى إشاعة روح المحبة والثقة بين الدعاة، والتقريب، وتشجيع روح النقد البناء، وتوسيع آفاق النظر والتفكير، واستشراف أبعاد الابتكار والتجديد، والتعاون في المتفق عليه، والتسامح في المختلف فيه، والخروج من دائرة العطالة إلى دائرة الفاعلية.

يطمح هذا الميثاق إلى أن يكون "ورقة عمل" مستمدة من القرآن الكريم والسنة المطهَّرة، بعيداً عن الإفراط والتفريط، مثلاً للوسطية والاعتدال، لا يحمل صبغة حزب، أو تكتل، أو جماعة محددة، أو مدرسة دعوية، أو اجتهاد فقهي، أو ولاء إقليمي، ولا يروج لواحدة من هذه الجهات ولا ينتقص من سواها.


ISBN-10: 0-615-30883-X
ISBN-13: 978-0-615-30883-8
90000
9780615308838



هشام يحيى الطالب

ولد الدكتور هشام الطالب في العراق (1940). حصل على بكالوريوس في الهندسة الكهربائية من جامعة ليفربول، المملكة المتحدة (1962) ودكتوراه في الهندسة الكهربائية من جامعة بردو في انديانا، الولايات المتحدة الأمريكية (1974).

والتحق في العمل الإسلامي في أمريكا الشمالية أثناء دراسته وما زال فيه حتى اليوم. وقد شغل عدة مناصب في مختلف المنظمات الإسلامية بما فيها أول مدير لقسم التدريب القيادي في إتحاد الطلبة المسلمين في الولايات المتحدة وكندا (1975-1977)، وأمين عام الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية (1976). وقد أجرى العديد من دورات التدريب القيادي والحلقات الدراسية في أمريكا الشمالية وخارجها.

والدكتور هشام الطالب عضو مؤسس في المعهد العالمي للفكر الإسلامي (1981)، وعضو مؤسس لمؤسسة سار الخيرية (1983-1995)، ومؤلف الكتاب المشهور "دليل التدريب القيادي"، المترجم إلى أكثر من عشرين لغة. وهو حاليا مدير الشؤون المالية في المعهد العالمي للفكر الإسلامي في العاصمة واشنطن.

ميثاق الشرف الدعوي

د. هشام الطالب

Hisham Altalib
P.O. Box 669, Herndon, VA 20172, USA

ISBN 978-0-615-30883-8

فكرة الميثاق

دعوة المسلمين عامة، والدعاة منهم خاصة إلى التلاقي على مجموعة من القواعد والضوابط والمبادئ؛ تشكل في مجموعها ميثاق شرفٍ للعمل الدعوي، ودستور ثقافة للفكر والممارسة؛ بحيث تزداد مساحة الوفاق، والصواب، والفاعلية، وتقلُّ مساحة الخلاف، والخطأ، والعطالة.

مقدمـــــة

تسري في العالم الإسلامي يقظة إسلامية شاملة، وهي ظاهرةٌ إيجابيةٌ مباركةٌ تدل على تنبه الأمة الإسلامية، وإفاقتها من غفلتها، وإحساسها بذاتها، واعتزازها بدينها، وسعيها للخروج من تخلفها، والتحرر من التبعية الفكرية والحياتية، وهذه اليقظة هي ما أطلق عليه في الاصطلاح المعاصر (الصحوة الإسلامية).

وشاء الله عز وجل – وله المنة والفضل – أن تصل هذه الصحوة إلى البلدان غير الإسلامية، حيث توجد جاليات مسلمة مغتربة للعلم أو العمل، ومما يحمد لهذه الجاليات أنها بدأت في السنوات الأخيرة تفكر في العمل المؤسسي المنظَّم؛ بحيث تكون لها مراجع فقهية تفتيها في شؤون دينها ودنياها، ومراجع إدارية تحل مشكلاتها، وتخطط لها، وتمثلها أمام الجهات الرسمية، حيث تقيم، وفي هذا كسب كبير يدل على أن هذه الجاليات بدأت تتجاوز أحلام طالب يدرس، أو زائر يتجول، أو فقير يرتزق، فإن هؤلاء مهما كانوا قادرين وأخياراً، أمر عارض، وقدرة محدودة، وجهد طيب، لكنه قليل الجدوى والفاعلية.

مظاهر الصحوة

وتتمثل هذه الصحوة المباركة في صور شتى تختلف وتتباين تبعاً للظروف المحيطة، فهي مركزٌ إسلامي لبعض المغتربين، أو مسجد، أو شركة استثمار، أو مؤسسات مالية، أو مشاريع قروض للمساكن، أو مجلة، أو صحيفة، أو نشاط في التأليف والترجمة والنشر، أو مبعوث لتبليغ الدعوة مرسل من هذه الجهة أو تلك، أو مجموعة تطالب بتطبيق أحكام الله وتعاليمه في بلد مسلم، أو حركة تسعى لتحرير بلد مسلم من الاحتلال، وهكذا.

ولا ريب أن هذا كله أمرٌ سارٌّ ومبهجٌ يستحق التشجيع والدعاء، وهو في ذات الوقت جدير أيضاً بالتقويم والتسديد والترشيد.

عوامل متعددة

هذه الصحوة هي وليدة عوامل عديدة، وحصيلة مجموعة من الجهود الجماعية والفردية، المنظمة والعفوية، الرسمية والشعبية، وقبل ذلك كله هي تعبير عفوي فطري أصيل يدل على رغبة الأمة في العودة إلى حقيقتها وأصالتها، وبرهان ساطع على أن هذا الدين محفوظ بحفظ الله عز وجل ورعايته.

والذي يدرس هذه الصحوة، ويريد أن يؤرخ لها، سوف يصعب عليه أن يحدد لها بداية دقيقة في زمن محدد، ذلك أن لهذه الظاهرة ومثيلاتها جذوراً قديمة تخفى وتظهر، وجهوداً ممتدة تبدو وتغيب، ثم إن العمل الدعوي عمل مستمر كان، وسوف يبقى، ولا يمكن أن ينقطع، إنه يضعف ويقوى، ويخطئ ويصيب، ويمرض ويصح، لكن بقاءه سنة كونية، وسنن الله لاتزول ولا تحول.

هزيمة عام 1967م

على أن عام 1967م كان نقطة مهمة في تاريخ الصحوة، فهزيمة العرب أمام إسرائيل يومذاك كانت زلزالا نفسياً وفكرياً وسياسياً واجتماعياً وعسكرياً لهم، وقد أدى هذا الزلزال –من بين ما أدى إليه– إلى سخط الناس على القيادات التي تسببت في الهزيمة، وعلى المبادئ التي تبنتها هذه القيادات، من ثورية، وعلمانية، واشتراكية، وليبرالية، وقومية، وبعثية، فزهدوا فيها وكرهوها، وأخذوا يبحثون عن البديل، وهنا اتجهوا إلى الإسلام، ولا غرابة فهم مسلمون أولاً وأخيراً، ثم إن الجماعات كالأفراد تفيء إلى الله عز وجل أيام المحن والخطوب.

من هنا يمكن القول: إن هزيمة عام 1967م أعطت الصحوة الإسلامية قوة دافعة، ولذلك فهي مَعْلَمٌ مهمٌ من

معالم تاريخها، وجلَّت حكمة الله عز وجل التي تجعل في ثنايا الشر خيراً، وفي ثنايا الخير شراً، وجلَّت حكمته تعالى شأنه حيث جعل "قانون التدافع" قانوناً دائماً مطرداً، فكل قوة في الأرض –شاءت أم أبت– في حركة دائبة، وهي دافعة ومدفوعة، ومن خلال هذه الحركة تأتي الفرصة للأخيار والأشرار، والمسلمين وغير المسلمين، ليحسنوا أو يسيئوا، من خلال تعاملهم معها تعاملاً عاجزاً أو تعاملاً فاعلاً.

قانون التدافع

ومن جميل لطف الله عز وجل ورحمته وعدله، أن جعل قوانينه جميعاً، ومنها "قانون التدافع" هذا، قوانين مطردة ومحايدة، لا تنحاز ولا تعادي ولا تحابي أحداً أو جماعة أو ديناً، بل الجميع أمامها سواء، فمن أحسن التعامل معها فاز أياً كان، ومن أساء التعامل معها خاب أياً كان، ومن فوائد "قانون التدافع" هذا أنه يمنح الأمل للدعاة بما يهيئ لهم من فرص، ويحمي الحياة من أن تأسن وتفسد بالجمود، ثم إنه يذكِّر المسلم دوماً بأن السيد الحقيقي للكون هو الله عز وجل، وهذا الأمر يمنح المسلم مزيداً من الثقة والسكينة، والتوكل والفاعلية، ويربط على قلبه، قال جل جلاله: "ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض، ولكن الله ذو فضل على العالمين" البقرة:251.

والذي يرجع بذاكرته إلى ما حدث بعد هزيمة 1967م، يجد أن الأمة حاولت أن تتجاوز هذه الهزيمة، وحققت مقداراً جيداً في محاولتها هذه، كان أبرزه حربها على إسرائيل في عام 1973م، ودحر الاحتلال السوفيتي لأفغانستان في عام 1989م.

سقوط الاتحاد السوفييتي

استمرت الصحوة تتقدم في العالم كله، وكان في تقدمها هذا مقدار من الخطأ يتفاوت من زمان إلى زمان، ومن مكان إلى مكان، ومن مدرسة دعوية إلى أخرى، لكن هذا المقدار من الخطأ لم يكن ليلغي ما فيها من صواب، ولم يكن ليعطل تقدمها المستمر، حتى جاء زلزال هائل دفعها خطوات إلى الأمام، ألا وهو سقوط الاتحاد السوفييتي عام 1991م، وتفككه؛ ذلك أن هذا الاتحاد الضخم الكبير، قد انهار بأيدي أبنائه، فإذا به يصبح مجموعة من الدول بعد أن كان دولة واحدة عظمى، وصاحبَ انهيارَه انهيارُ الشيوعية التي كانت فكرة إلحادية يتبناها، وكان بسببها يعادي الأديان عامة والإسلام خاصة، وبذلك زال من العالم كيان ضخم طالما شقي به الإسلام والمسلمون، فصارت فرصة العمل الدعوي أكبر؛ حيث أخذ يمتد في ثنايا هذا الكيان البائد،

ويكتسب فيه مواقع جديدة. وهذا الزلزال أيضاً ثمرة من ثمار "قانون التدافع"، والأمر لله من قبل ومن بعد.

برجا نيويورك 9/11

وبعد عشر سنوات جاء زلزال ثالث، وهو تدمير برجي التجارة العالميين في نيويورك عام 2001م، لقد وقع هذا الزلزال، وكثرت فيه التأويلات والتفسيرات، وربما يبقى لغزاً من ألغاز التاريخ، لكنه بما تلاه من احتلال أمريكا لكل من أفغانستان والعراق، وما تلاه من تداعيات إعلامية، وسياسية، واقتصادية، وعسكرية، وثقافية، جعل الإسلام في الأرض عامة، وفي أوروبا وأمريكا خاصةً، حديث القاصي والداني، وأكثر من يتحدث عنه يتحدث عنه بسوء نية أو بجهل، والمنصفون من المتحدثين قلة. لكن هذا الحديث بخيره وشره جعل الإسلام موضع اهتمام الكثيرين، وهذه فرصة ممتازة تدعو العاملين في الحقل الدعوي إلى أن يحسنوا تقديمه لهم. وهذه أيضاً ثمرة مباركة من ثمار "قانون التدافع"، والأمر لله من قبل ومن بعد.

لكأن الله عز وجل، وله الحكمة البالغة، يريد بما مرَّ، وبما سيمرُّ من أحداث هائلة أن تُحْرَثَ الأرض حرثاً شاملاً، الأمر الذي يجعلها مقبلةً على دينه القويم، فتخرجِ الإنسانية من الضلال إلى الهدى، ومن الشقاء إلى السعادة.

وعيٌ مهمٌّ ومطلوب

وأياً كان الأمر فإن على الأمة أن تعي جيداً الآتي:

- هذه الفرصة النادرة للتعريف بالإسلام سوف تزول إذا لم يحسن الدعاة الأكفاء المخلصون التعامل معها.
- سنن الله عز وجل لن تمنح الأمة الإسلامية نصراً مجانياً لمجرد إسلامها.
- ينبغي أن ينفر عددٌ من أبناء الأمة الإسلامية الأذكياء الأكفاء المتجردين، ليقوموا برصد الخطأ في العمل الدعوي قبل أن يقع والتحذير منه، وتطويق الخطأ بعد أن يقع ومعالجته بأقل الخسائر.
- وأن يعملوا على استشراف آفاقٍ ووسائلَ وأدواتٍ جديدةٍ للعمل الدعوي؛ حتى لا يتجمد فيقع في دائرة العجز والعطالة.
- وأن يعملوا على تسديد مسار العمل الدعوي وترشيده.
- وأن يعملوا على زيادة مساحة الوفاق بين العاملين، وتضييق مساحة الخلاف فيما بينهم.

مشكلات ومحاذير

لقد جاءت الصحوة على قَدَر، وفرح الناس بها، واستبشروا، وأخذوا يبنون عليها أحلامهم الوردية.

وحتى تكتمل الصورة فإنه لابد من التأكيد على أن هذه الصحوة الطيبة محفوفة بكثير من المشكلات التي تؤذيها، وتعرقل حركتها؛ فترى بعضها يخالف بعضها الآخر، وربما يعاديه، ويكيد له، فتنشأ الفتن، وتكثر العداوات، وتشيع الفرقة، حتى بات بعض الناس يرى أن الخلافَ بين المسلمين عامة، والعاملين للإسلام خاصة، حقيقةٌ صارخة، ومرضٌ مزمنٌ، وداءٌ عضالٌ، لا يكاد ينجو منه إلا مَنْ رَحِمَ ربي.

يضاف إلى ذلك أن بعض الجهود المخلصة ينقصها الصواب، فتنفق حيث لا تدعو الحاجة، وربما اختارت المفضول الممنوع مع وجود الأفضل المتاح، بل ربما أنفقت فيما يضرُّ ويؤذي.

ويضاف إلى ذلك أيضاً أن أكثر العاملين في الحقل الدعوي تغلب عليهم البساطة والطيبة، اللتان تصلان إلى درجة الغفلة؛ الأمر الذي يسهِّل اختراقهم وتوريطهم من قبل بعض الأشرار؛ فيدفعونهم إلى حماقات غبية، ومغامرات مهلكة، تؤذيهم وتؤذي البلاد والعباد، وتُكَرِّه الناس فيهم، بل ربما كرَّهتهم بالإسلام نفسه، وخوَّفتهم منه، ولعل أكبر ميدان يظهر فيه جهل هؤلاء هو الميدان السياسي، فقد كانت لهم في هذا الميدان جهود وتضحيات، ثم كانوا هم أول

ضحاياها، لقد دفعوا ثمناً فادحاً، كما دفعت البلاد والعباد ثمناً باهظاً أيضاً، وهو الأخطر والأفظع.

ولا ريب أن مثل هذه الظاهرة لا يمكن أن تُعْزَى إلى سبب وحيد، فلا بد من إرجاعها إلى مجموعة معقدة متداخلة من الأسباب المختلفة، منها المباشر ومنها غير المباشر، ومنها السذاجة والغفلة، ومنها العجلة والارتجال، ومنها سهولة الاختراق والتوريط، ومنها الجهل بسنن الله عز وجل وبقوانينه، ومنها المطامع والأهواء التي تلبس لبوساً دينياً وأصحابها طلاب مغانم ورئاسة وثارات، ومنها ما يتعلق بقدرة الناس على الفهم والاستيعاب، ومنها ما يتعلق بطبيعة المرحلة التي تمر بها الأمة، وهي مرحلة خطرة حرجة لها مضاعفاتها وانعكاساتها السلبية على شتى المجالات، ومن بين ذلك مجال الدعوة الإسلامية.

إذا كان الأمر كذلك من حيث تشخيص هذه الظاهرة الخطيرة، وجب علينا أن نقرر بأن العلاج لا يمكن أن يكون بتقديم حلٍ وحيد، بل لا بد من مجموعة متكاملة من الحلول التي يسند بعضها بعضاً، ويقوِّي كلٌّ منها أخاه.

نقطة البداية

ولعل الحل الذي ينال المرتبة الأولى من بين هذه الحلول، ويجعل له أهمية خاصة، هو تصحيح القواعد العامة

للعاملين في حقل الدعوة الإسلامية؛ ذلك أن القواعد تحكم – إلى حد كبير– التصورَ العام للإنسان، وطرائق المحاكمة والتفكير عنده، وأسباب العمل والممارسة فيما يفعل، ومن المعروف المقرر الذي يحتل مكانة البداهة التي يجمع عليها الناس أن التصور الخاطئ يقود إلى سلوك خاطئ، وأن التصور الصحيح يقود إلى سلوك صحيح.

وابتداءً فإنه ليس من أحدٍ يدعي أن مجرد تصحيح القواعد سوف يقضي على هذه الظاهرة، ولكن يمكن القول: إنه سوف يخفف منها إلى حد كبير.

إن هذه الصحوة في حاجةٍ ماسةٍ إلى تسديدٍ، وتقويمٍ، ونصحٍ، ومراجعةٍ؛ لكونها عملاً بشرياً فيه الصواب، وفيه الخطأ، وإذا كانت هذه الصحوة مهددة من خارجها، فإنها مهددة من داخلها أيضاً، والتهديد الداخلي كان ولا يزال أخطر من التهديد الخارجي، وأشد فتكاً.

وإذا كان التهديد الخارجي يأتي من أعداء الإسلام بشتى أنواعهم، فإن التهديد الداخلي يأتي من داخل الصحوة نفسها، من فهمٍ خاطئ، أو عقلٍ أعوج، أو نزعةٍ نفسيةٍ غير سوية، أو من العجلة التي لا تتفق مع طبائع الأشياء، أو من جهة المثالية غير الواقعية، وما إلى ذلك.

ومن هنا تأتي الحاجة إلى إعداد ميثاق شرف يُقَدَّم إلى العاملين في سبيل الدعوة الإسلامية؛ يتناول القواعد

الأساسية التي يمكن أن تستوعبهم جميعاً، أو تستوعب أكبر عدد منهم، ويرسم هذا الميثاق أبعادَ جادةٍ عريضةٍ مشتركةٍ تتسع لجميع العقلاء والغيورين، وتسمح بمقدارٍ من التنوع ضمن الإطار المشترك؛ لأن الناس لا يمكن أن يكونوا نسخاً متكررة متشابهة في كل شيء، وهو ما يمكن أن يطلق عليه شعار "التنوع ضمن إطار الوحدة".

من أجل ذلك، وشعوراً بمسؤولية الأمانة، ونهوضاً بواجب النصح والتسديد والتجديد، يطيب لنا أن نتقدم بهذه القواعد الأساسية التي نرى أن في الوعي بها، والانتفاع منها، ما يدفع بالصحوة الإسلامية خطوات مهمة إلى الأمام، حتى تؤتي أكلها على خير ما يرجى منها، بإذن الله.

ومن الجدير بالذكر أن هذه القواعد حصيلةُ جهدٍ، ومعاناةٍ، وتأمل، ومراجعةٍ، وقراءةٍ، ومراقبةٍ طويلةٍ ومستمرةٍ للخطأً والصواب في مجال العمل الدعوي، وفيها ما تمت صياغته ابتداءً، وفيها ما اُقتبس بمعناه أو بلفظه من هنا وهناك؛ لحصول الاقتناع به.

أهداف الميثاق

يهدف هذا الميثاق إلى تحديد مجموعة من القواعد التي يرجى أن تكون محل اتفاق من الجميع، تقع منهمٍ موقع القبول والاحترام. فإذا تم ذلك فإن المكاسب كثيرة جداً، ومن

أبرزها: إشاعة روح المحبة والثقة بين الدعاة، والتقريب بين الرسمي والشعبي من العمل الدعوي، وتقليل مساحة الخلاف والخطأ، وزيادة مساحة الوفاق والصواب، وتشجيع روح النقد البناء، وتوسيع آفاق النظر والتفكير، واستشراف آفاق الابتكار والتجديد، والتعاون في المتفق عليه، والتغافر في المختلف فيه، والخروج من دائرة العطالة إلى دائرة الفاعلية.

وإذا أردنا أن نلخص أهداف هذا الميثاق في عبارة موجزة دالة فيمكن القول: إنها "تسديد مسار العمل الدعوي، والتقريب بين أبنائه، واقتراح آفاق جديدة له" ثم إن هذا الميثاق موجه للجميع، ولكنه بالدرجة الأولى وبطبيعة الحال موجه للدعاة فهم الأجدر بالاستفادة منه، وهم الأقدر على تصحيحه والإضافة إليه.

طموح نبيل

يطمح هذا الميثاق إلى أن يكون "ورقة عمل" مستمدة من القرآن الكريم والسنة المطهَّرة، بعيداً عن الإفراط والتفريط، ممثلاً للوسطية والاعتدال، لا يحمل صبغة حزب معين، أو تكتل خاص، أو جماعة محددة، أو مدرسة دعوية، أو اجتهاد فقهي، أو ولاء إقليمي، ولا يروج لواحدة من هذه الجهات ولا ينتقص من سواها.

كما أنه يطمح أن يكون دستوراً فكرياً أخلاقياً تربوياً عملياً للدعاة، وحلف فضول يعتمدونه ويقرونه، وإضافة نوعية لا نمطية تأخذ مكانها إلى جوانب مثيلاتها من الإضافات الجادة.

إن هذا الميثاق يطمح أن يكون انحيازه إلى:

- الإسلام الذي هو سبيل سعادتنا في الدنيا والآخرة.
- الأمة التي ننتمي إليها، ونفخر بهذا الانتماء ونعتز.
- العمل الدعوي الذي هو أشرف مهمة في الحياة، وهي مهمة الأنبياء المرسلين.
- الوطن الذي يحتضن الدين، واللغة، والتراث، والعباد، والماضي، والحاضر، والمستقبل.
- الأجيال القادمة من الدعاة لتكونِ أكثر صواباً وأقل خطأً.

لذلك؛ فالميثاق يحرص كثيراً على أن يتصف بالدقة، والموضوعية، والنزاهة، والحياد، والوضوح، والأسلوبِ العلمي المتزن، وبروح الأدب العالي، واللسان العف؛ بحيث يشعر القارئ أن وراء هذا الميثاق -حقيقةً لا تمثيلاً- روحاً خيرة ذات آفاق رحيبة، وصدراً واسعاً، ورغبة صادقة جادة في خدمة العمل الدعوي.

وبعد:

فالمأمول أن يكون هذا الميثاق نوراً هادياً يلتقي عليه الدعاة، ويتواثقون عليه، بدوافع ذاتية اختيارية من الشرف

والصدق، ومن هنا جاءت تسميته "ميثاق الشرف الدعوي"؛ لأن التلاقي عليه إنما هو في النهاية ثمرة الاقتناع الحر، والالتزام الطوعي، والإرادة الشريفة، والثقة الراسخة، والإعجاب بما اشتمل عليه بين دفتيه.

والمأمول أيضاً أن يخضع هذا الميثاق للدراسة الجادة من الدعاة الأكفاء الغيورين؛ بهدف الاستفادة من صوابه، والتنبيه إلى أخطائه، واقتراح قواعد جديدة له؛ حتى تكون كل طبعة منه خيراً من سابقتها.

ربنا وفقنا لما يرضيك، واستعملنا في الخير، وارزقنا النية الخالصة مع الصواب، لك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضا.

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، وسلَّم.

هشام الطالب
1430هـ / 2009م

قواعد الميثاق

1) التوحيد كاملاً

نؤمن بالله عز وجل؛ وأنه خالق الكون وحاكمه، وأنه وحده المعبود بحق، المتصف بكل صفات الجلال والكمال والجمال، المنـزَّه عن كلِّ نقص، ونحبه، ونوحِّده، ونعظِّمه، ونخافه، ونرجوه، وندعو المسلمين عامةً، والدعاة خاصةً، إلى إعطاء قضية العقيدة؛ فهماً وإيماناً، شعوراً وسلوكاً، الأولويةَ المطلقة على ما سواها؛ فهي الأصل الأول والأكبر لكل قضايا الدين بأصولها وفروعها، وهي الأصل الذي يصاحب هذه القضايا باستمرار، كما يصاحب حياة المسلم في كلِّ شيء. إن العقيدة ليست فصلاً في كتاب يقرؤه المسلم ثم يطويه لينتقل إلى ما بعده، بل هي الفصل الأول الذي يقرؤه المسلم، ثم يستصحبه دائماً معه، وهو يقرأ بقية الفصول. إن العقيدة هي حالة فكرية ووجدانية وتطبيقية ترافق المسلم، وتحكم حياته كلها حتى يموت. وهذا يستدعي – من بين ما يستدعيه – أن يعرف المسلم معرفة عميقة دقيقة شاملة لوازم هذه العقيدة، وأهمها: توحيد الله عزَّ وجلَّ، وإفراده بالعبادة، وتطبيق أحكامه، كما يستدعي منه أن يعرف نواقض هذه العقيدة التي تخرجه من الدين كلياً أو جزئياً، ومن أعجب العجب أن يحفظ أطفال المسلمين في

هذا العالم نواقض الوضوء ولا يحفظون نواقض العقيدة، وكل ذلك مطلوب. ولكن شتان بين هذا وذاك.

ومن جهة أخرى ينبغي الحذر من أن تتحول قضية التوحيد إلى مجرد حفظ آلي حرفي جاف، يتوهم أصحابه أنهم وحدهم على الهدى، وتشيع فيهم روح الغرور والاستعلاء، فيتعاملون مع سواهم بخشونة واستكبار. إن الثقة بموقفهم الحق محمودة ومطلوبة، لكن ينبغي لها أن تقترن بعاطفة طيبة إزاء الآخرين، وبذلك يكونون دعاة محببين لا منفِّـــرين، ورحماء لا قساة، ويصبح التوحيد في حياتهم بأفضل صوره عقلاً وضميراً وسلوكاً.

2) الإسلام دين الله

نؤمن أن الإسلام هو دين الله عزَّ وجلَّ، الخالد، المحفوظ، الصحيح، الخاتم، وهو عندنا: القضية، والهوية، والحلّ، والماضي، والحاضر، والمستقبل، وهو سبيل سعادتنا في الدنيا والآخرة، ومنهج حياتنا الذي اختاره الله تعالى لنا، نؤمن به، ونعتزُّ به، ونجاهد من أجله، ونفديه بكل غالٍ وعزيزٍ.

3) العودة إلى المصادر الأصلية

لأننا نحبُّ الخيــر للناس أجمعين، ولأننا مكلفون بدعوتهم إليه؛ فإننا ندعوهم أن يتعرفوا إلى الإسلام من مصادره الأصلية بقلبٍ مفتوحٍ، وعقلٍ منصفٍ، واثقين من أنهم سيجدون فيه الهدى بعد الضلال، والحقَّ بعد الباطل، والأمن بعد الخوف، والسكينة بعد القلق، والعافية بعد البلاء، وأنهم سيجدون فيه أيضاً حلولاً لكلِّ مشكلاتهم، وإجابة عن كلِّ أسئلتهم.

4) أول إعلان عام لحقوق الإنسان

نؤمن أن الإسلام هو أول إعلان عالمي كامل لحقوق الإنسان، فهو الدين الذي يوفر للإنسان حقوقه الكاملة؛ في حرية الاعتقاد، والكرامة الإنسانية، فضلاً عن التعليم، والزواج، والأمن، والرزق، والعدالة، والملكية، وما إلى ذلك، ومنطلق الإسلام في ذلك إعلاؤه لقيمة الإنســان؛ فهو أكرم مخلوقات الله عزَّ وجلَّ، وخليفته في أرضه، وكل ما في هذه الأرض مسخَّرٌ له.

5) البشرية أسرة واحدة

نؤمن أن البشرية هي أسرة واحدة، تجمعها الأخوَّة الإنسانية، خالقها هو الله تعالى، وأبوها آدم، وأمها حواء، من التراب خلقت وإليه تعود؛ لذلك ندعو الجميع من المسلمين وغيرهم إلى التعاون المشترك فيما يعود بالنفع على الجميع، ومن ذلك: تحقيق السلم، وإشاعة الحرية، وإقامة العدل، ومكافحة الجريمة، ونشر العلم، ورعاية الطفولة، وخدمة المسنين، وحسن الجوار، والمحافظة على البيئة، واحترام العهود والمواثيق.

6) صيانة الأسرة

الزواج بين الذكر والأنثى هو الطريق الشرعي الوحيد لتكوين الأسرة؛ التي هي أول محاضن التربية وأهمها، وهي الأساس الأكبر في كيان الأمة، والمهد الطبيعي الفطري للأطفال والناشئة، ومسؤولية الإدارة فيها تقع على الأب والأم معاً؛ لذلك ندعو إلى صيانتها وحراستها وإعلاء قيمتها، وتهيئة الأدوات اللازمة لإنجاحها، ونقف بقوة ضد المحاولات الكثيرة والمتجددة لإلغائها أو الانتقاص منها.

7) تداول سلمي

ينبغي للدعاة أن يصلوا إلى آلية حكيمة، صريحة، حاسمة، يلتزمون بها، تحقق لهم تداول المسؤولية في مؤسساتهم الدعوية، بسلاسة ورضا وسلام ومودة، وفي ذلك ما يمنع الأثرة والاحتكار والوصاية، ويزيل الانقسامات والفتن، ويقضي على العجز والجمود، ويتيح الفرصة للتجديد والإبداع، ويزيد من مساحة التواصل بين الأجيال، ويعين على تدريب أكبر عدد ممكن على العمل القيادي، ويعمق روح الفريق، ويؤكد احترام العمل المؤسسي.

8) قاعدة المنار

نحب الخير والإخاء والتعاون مع الجميع، ونلتمس الأعذار حتى للمخالفين؛ أخذاً بقاعدة المنار الشهيرة للشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله: «نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه».

9) الشورى

ندعو إلى الشورى، وتشجيع التفكير والإبداع، واحترام الآراء المخالفة والموافقة على حد سواء، ونعطي لكل إنسان حقَّه في التفكير والتعبير، على أن يلتزم الجميع في النهايةً

بالقرار المتخذ، ما لم يكن ذلك مخالفاً لمبادئ الشريعة العامة والصريحة. وحتى يكون القرار صواباً أو أقرب ما يكون إلى الصواب، فلا بدَّ من اتخاذه من قِبَلِ مرجعيته المعتمدة فقط، ويستدعي هذا أن تكون المعلومات اللازمة أمامها كاملة، كما يستدعي أن تكون المداولات صادقة، موضوعية، أمينة.

10) مرجعية واحدة

ينبغي الحذر جداً من أن تكون للعمل الدعوي مرجعيتان، واحدة ظاهرة ودورها شكليّ كأنها مجرد واجهة، والثانية خفية ودورها حقيقيّ تفعل بهذه الواجهة ما تريد، للظاهرة الصورة وللخفية الفعل. والخفية هي التي تقرر –وحدها– ما تشاء، وتمليه على الظاهرة، أو تضعها في موقف يجعلها تتخذ القرار الذي تريد. إن ذلك تزوير وبهتان، ومخالفة صريحة لمبادئ العمل الدعوي، ولاسيما مبدأ الشورى، وإضفاءٌ لصفة شرعية على قرارات غير شرعية، بل إنه دكتاتورية حقيقية، والدكتاتورية في أمور الدين أسوأ منها في أمور الدنيا؛ لإضفائها لبوساً دينياً زائفاً على ما تريد. ومن شأن هذا المسلك المقيت أن يجعل المرجعية الخفية تنظر إلى المرجعية الظاهرة بازدراء واستعلاء، ويجعل المرجعية الظاهرة تنظر إلى المرجعية

الخفية بحقدٍ وتربُّص، كما يجعلها ضعيفة مهزوزة أمام أنصارها، وهذا كلهً يوجد العداوة والأحقاد ويقود إلى الإخفاق والخذلان، وقد دفع العمل الدعوي الذي كان لــه مثل هذه الثنائية ثمناً مراً بسببها.

11) العمل المؤسسي

نؤمن بالعمل المؤسسي الجماعي المنظَّم؛ الذي يحترم أخلاق الإسلام أولاً، ويلتزم أنظمته ولوائحه ثانياً؛ ليقيننا أن العمل المؤسسي فيٍّ النهاية أنفع للأمة، وأدوم من العمل الفردي، وفي كلٍّ خير، وليقيننا أن العمل المؤسسي أكفأ وأقدر على المراجعة، والتصحيح، والتقويم، والتجديد، ثم إن الأفراد زائلون، ويبقى من بعدهم العمل المؤسسي المستمر.

12) روح الفريق

نحرص على تأصيل روح الفريق بين العاملين، وتعميق مبدأ العمل المشترك لديهم، ومن ذلك تقدير ذوي السابقة، وتشجيع التواصل بين الأجيال؛ بحيث نستفيد من حكمة الشيوخ وحماسة الشباب، وإيثار المصلحة العامة على المصلحة الخاصة، والاتفاق على طرق شرعية حضارية لمنع المشكلات والخلافات قبل وقوعها، وحلها بأفضل

الوسائل بعد وقوعها، وإشاعة روح العدل المالي والإداري بين العاملين.

13) العناية بالنابهين

نؤمن بالتركيز على النابهين والموهوبين من الطلبة؛ فهؤلاء هم روّاد التجديد والتطوير، والتفكير، في البدائل النافعة، والمبادرات المستقبلية.

14) نموذج يحتذى

ينبغي لأي مؤسسة دعوية أن تكون بمبادئها ومناهجها وخططها وأخلاق العاملين فيها، نموذجاً كريماً للعمل الدعوي الحكيم الناجح؛ الذي إن رآه الآخرون أعجبوا به وعملوا على احتذائه وتقليده.

15) تجديد بصير

نؤمن بأهمية التجدد المستمر، مع احترام الثوابت التي لا تُمَس، وبذلك يتحقق مبدأ الجمع بين القديم الصالح والجديد النافع، ويتحقق أيضاً التواصل مع العصر ومعرفة قضاياه، وفي ذلك ما يمنحنا الحيوية التي تحمينا من التجمُّد والعجز والانزواء.

16) الاكتفاء الذاتي

ندعو إلى تحقيق الاكتفاء الذاتي، والاعتماد على الإمكانات الخاصة، ما أمكن؛ لأن التبرعات مصدر غير مستمر ولا مستقر ولا مضمون، ولعل أهم وسائل ذلك إنشاء مؤسسات وقفية مناسبة للقدرة وللظروف.

17) حياد السنن

إن سنن الله عز وجل –وهذا من عدله ولطفه بعباده– سننٍ محايدة ومطردة لا تحابي ولا تعادي فرداً أو جماعة أو ديناً، بل الجميع أمامها سواء، فمن أحسنَ التعامل معها فاز أياً كان، ومن أساء التعامل معها خاب أياً كان، ومعنى هذا أن الله عز وجل لن يمنح فرداً أو جماعة من المسلمين نصراً مجانياً لمجرد إسلامهم، فلابد من الأخذ بالأسباب.

18) المرح المطلوب

إن المرح –في حدوده المباحة– من أهم ما يقوي صلة الناشئة بجماعتهم؛ الأمر الذي يجعلهم أكثر غيرة عليها، وإخلاصاً لها، وتشرباً لأفكارها؛ لذلك فنحن ندعو إلى هذا الأمر، وندعو إلى التعبير عنه في المناسبات المختلفة، ومن ذلك الأعياد، وبداية العام الدراسي ونهايته، ومن أجله ينبغي

أن تقام الاحتفالات، والأناشيد، والمسابقات والنشاطات الرياضية، وتقدم الهدايا والجوائز.. وما إلى ذلك.

19) أهداف ووسائل

الأهداف الأساسية ثابتة، والأهداف الفرعية مرحلية، أما الوسائل فينبغي أن تكون متجددة مرنة متطورة، وينبغي التبديل والتنويع والتطوير فيها باستمرار، والاقتباس من تجارب المسلمين وغير المسلمين؛ لأن الحكمة ضالة المؤمن، ثم إن كل وسيلة من وسائل العمل الدعوي إنما نلجأ إليها بضابطين: الأول أن تكون هناك حاجة حقيقية إليها قبل إنشائها، والثاني أن تكون حسناتها أكثر من سيئاتها بعد الإنشاء، وإلا فلا.

20) الإسلام والعمل الإسلامي

لابد من التفريق بين الدين الإسلامي والعمل الدعوي؛ فالإسلام هو دين الله الصحيح الباقي الخالد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، والعمل الدعوي هو جهد بشري قابل للصواب والخطأ. إن دين الله عز وجل مقدسٌ، لكن العمل من أجله غير مقدس، وقداسة الإسلام لا تنسحب على العمل الإسلامي فتمنحه العصمة، وأخطاء العمل الإسلامي لا تنسحب على الإسلام فتنتقص منه.

21) المنهج الأفضل

المنهج الأفضل في الدعوة هو التعريف بحقائق الإسلام ومناهجه ابتداءً، وبدقة ووضوحٍ وإحاطةٍ، فذلك أدعى إلى تثبيتها في عقل المتلقي ووجدانه، وأرجى لاستجابته لها؛ لذلك ينبغي لنا أن نتحاشى البدء بإيراد الشبهات والرد عليها، أو الحديث عن فِـرَقٍ وأفكارٍ واجتهادات ذهبت بما لها وما عليها، وإذا دعت إلى ذلك ضرورة فتكون الاستجابة لها بأدنى حدٍّ ممكنٍ، ومن دون الإخلال بأصل المنهج.

22) لا للجدل

ندعو إلى سد باب التساؤلات النظرية، والمناقشات الافتراضية، والأقوال الشاذة، والاجتهادات المهجورة، والاحتمالات الظنية، والجدل العقيم؛ لأن ذلك إضاعة للوقت والجهد والمال، وهروب من المسؤوليات الحقيقية التي ينبغي النهوض بها، كما أنه -في غالب الأحوال- يؤدي إلى الكراهية والنفور وربما الأحقاد.

23) الصلة بين المنظمات الإسلامية

الأصل في التعامل بين المنظمات الإسلامية هو التكامل، فإن تعذر ذلك فالتعاون، فإن تعذر ذلك فالاحترام والتعايش، أما الرابعة فهي الهلاك.

24) أهمية المحاسبة

إن مبدأ المحاسبة مبدأ إسلامي أصيل، وأسلوب حضاري رفيع، لذلك ينبغي لنا أن نحرص عليه وأن نمارسه باستمرار، وذلك من خلال المصارحة والمكاشفة، والنقد الذاتي، والمراجعة الدائمة، والتقويم الدائب، بحيث نعرف الإيجابيات فنحتفظ بها، ونزيد منها، ونعرف السلبيات فنحذرها ونتخلص منها؛ لأن العمل البشري عرضة للخطأ والصواب.

25) احترام التخصص

ينبغي لنا أن نسأل أهل الذكر في القضايا الشرعية، وأن نرجع إلى أهل الخبرة في القضايا الفنية، فقد يكون زيدٌ من الناس داعيةً موفقاً مشهوراً لكنه ليس أهلاً للفتوى، وليس مختصاً في قضية فنية محددة.

26) روح إيجابية

ندعو إلى التركيز على الإيجابيات، والتفاؤل، والتبشير، والتيسير، كما ندعو إلى البعد عن السلبيات، والتشاؤم، والتنفير، والتعسير.

27) هدوء مطلوب

ندعو إلى التحول من التهييج إلى الحكمة، ومن الإثارة إلى الأناة، ومن إهمال شؤون الحياة إلى المهارة في معرفتها وعلاجها، والمشاركة في عمارتها.

28) دين شامل

الإسلام دين الله عزَّ وجلَّ الأخير للبشرية، لذلك فهو منهج شامل؛ ينتظم شؤون الحياة كلَّها، على مستوى الفرد، والجماعة، والدولة، فهو دينٌ، ودولةٌ، وقانونٌ، وعبادةٌ، واقتصادٌ، وأخلاقٌ، وصحةٌ، وعلاقاتٌ أسريةٌ، واجتماعيةٌ، ودوليةٌ، وما إلى ذلك. إنه يرافق الإنسان من ولادته، إلى حياته، وموته، ونشوره. لذلك ينبغي للدعاة أن يركِّزوا على مبدأ شمول الإسلام، ويعتزوا به، ويرفضوا محاولة حصر الإسلام في الشعائر التعبدية وحدها، ومن لوازم ذلك ألا يستغرقوا في الفروع والجزئيات على حساب الأصول

والكليات، وإذا دعت الحاجة إلى تناول قضية فرعية أو جزئية فيجب أن تأتي في مكانها وزمانها وظرفها وحجمها المناسب فقط.

29) أدب الحوار

ندعو إلى تعلم أدب الحوار وفنونه؛ لأن الحوار من أهم وسائل الدعوة الناجحة، والمحاورُ الناجحُ محامٍ ناجحٌ عن القضية التي يدعو إليها، والعكس بالعكس.

30) جادة مشتركة

من المستحيل أن يكون الدعاة نموذجاً واحداً في الأهداف والوسائل والأولويات؛ فلا بدَّ من اختلاف كبير أو صغير بينهم، لكن المرء إذا أمعن النظر في الأمر وجد أن هناك نقاطاً كثيرة في العقائد والعبادات والأخلاق والمعاملات يشتركون فيها، لكنَّ الخصومة –بغبارها وعنادها وأهوائها– تضيع ذلك، لأن مساحة الخلاف تضرب بعشرة أمثالها فتبدو أكبر، ومساحة الوفاق تقسَّم على عشرة أمثالها فتبدو أصغر، ولذا يمكن الجزم بأنه توجد بين الدعاة جادة متَّفقٌ عليها، وأرضيةٌ مشتركة، ومن واجب الجميع أن يعرفوها،

ويفرحوا بها، ويعملوا من خلالها، ويوسِّعوها بهدوء وصبرٍ واستمرارٍ لتستوعب أكبر عددٍ ممكنٍ.

31) مخاطر السرية

نحذر جداً من قضايا التأويل والسرية والباطنية في الفكر الإسلامي والعمل الإسلامي، ونؤكد على أن الإسلام دين كامل واضح، وكل مبادئه وأفكاره علنية، وأنه لا سر فيها، ولا إضافة عليها، إن علانية العقائد قوّة لها؛ لأن الإنسان يعلن ما يعتزُّ به، ثمَّ إن الناس يستجيبون بفطرتهم للأفكار الواضحة العلنية المفهومة السوية، وينفرون بفطرتهم من الأفكار المبهمة السرية المائعة المشوَّهة، وأخطاء السر تضر بأصحابها أكثر مما تضرُّ بأعدائها، كما أن سريتها تجعلها تتفاقم لأنها في الظلام فلا تُرى، خلافاً لأخطاء العلن التي يمكن تداركها لأنها في النور.

32) وحدة فكرية

من أسباب الفرقة بين دعاة الإسلام: غياب الحد الأدنى المشترك من الوحدة الفكرية بينهم، الأمر الذي أدى وما يزال يؤدي إلى اختلاف الغايات والوسائل والأولويات، فضلاً عن النفور، وربما الكراهية والأحقاد؛ ولذلك يجب أن

تأخذ قضية تعميق الوحدة الفكرية بين الدعاة عامة والشباب خاصة عنايةً فائقة، ويكون ذلك بإشاعة الثقافة الشرعية القائمة على الكتاب والسنة، وروحِ الاعتدال، والتعاون، والتغافر، والأخوَّة، والإنصاف، فضلاً عن منطق الأولويات، وفنّ الحوار، وأدب الخلاف، والتأكيد على شمول الإسلام وصلاحيته لكلِّ زمانٍ ومكانٍ، ومما يعين على ذلك اختيار مؤلفات يتم انتقاؤها بعنايةٍ فائقةٍ تنسجم مع هذا الهدف، وتوضع بين أيدي الدعاة والشباب، ويعاد النظر فيها بين الحين والآخر، تماماً كما تفعل أقسام المناهج والمقررات المدرسية في وزارات التربية والتعليم.

33) تقدير لا تقديس

من الطبيعي والفطري والمطلوب النافع أيضاً أن يحبَّ المسلم قائده الدعوي، أو شيخه العلمي، أو إمام مسجده ومن إليهم، لكن هذا الحبَّ لا ينبغي أن يتجاوز مداه، وقد ضلَّ أصحاب الديانات السابقة حين غلوا في تعظيم أنبيائهم وصلحائهم ومنحوهم الولاء من دون الله؛ فانتهوا إلى الشرك بعد التوحيد. وإن من الأمراض الشائعة بين المسلمين من عاديين ودعويين ارتباطهم بمراجعهم ارتباطاً غالياً، جعلوهم به معياراً للتمييز بين الحق والباطل، والصواب والخطأ، وكأنهم معصومون، ناسين القاعدة التي تقول:

(نعرف الرجال بالحق، ولا نعرف الحق بالرجال)، وقد كان هذا الغلو وما يزال سبباً من أسباب فرقة المسلمين، وانتشار الأحقاد بين العناصر الدعوية منهم، والحلّ أن يحبَّ الناس مراجعهم باعتدال، وأن ينظروا إليهم على أنهم بشرٌ يصيبون ويخطئون، ولهم من الحبِّ والتقدير والولاء بمقدار ما عندهم من الحقِّ والإنجاز، فالمسلم طالب حق، والمرجع وسيلة وهو زائل، والفكرة غاية وهي باقية.

34) البدء من حيث انتهوا

ندعو إلى البناء على تجارب من سبق؛ فالمنظمة أو المركز أو المدرسة أو الداعية، لا يبدأ من فراغ، وليس أول من تصدى لخدمة دين الله، ولن يكون آخر المتصدين لهذه الغاية الشريفة.

35) سُنَّة التدرج

ندعو إلى تعميق معاني التطور لا الطفرة، والنمو لا التعسف، والحكمة لا الهيجة، والتدرج لا القفزة، والأناة لا العجلة، والعمل الهادئ المستمر، لا العمل السريع المتوقف، وفي الحديث الشريف: «إن المنبتَّ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى» وفي الحديث الآخر: «أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قلَّ». وفي الحديث الثالث: «ولن يشاد الدينَ أحدٌ إلا

غلبه»، وهنا ينبغي لنا أن نتذكر الحكمة النفيسة التي تقول: إن الزمن جزءٌ من العلاج.

36) **المرحلية**

نؤمن بالمرحلية؛ أي تقسيم الأهداف إلى مستويات ورتب تخدم الهدف العام؛ بحيث يمهد الأول للثاني، ويقوم الثاني على الأول، وهكذا، وأن نطرح من الأهداف ما نستطيعه وما يناسب الظرف.

37) **مؤسسات الاجتهاد الجماعي**

نؤمن بعمقٍ، ونؤكد باستمرار، على أن الإسلام دين صالح لكل زمان ومكان، وأنه قادر على حل المشكلات المتجددة، وندعو علماءه وفقهاءه إلى تقديم هذه الحلول، ونرحب بمؤسسات الاجتهاد الجماعي؛ ومن ذلك: مجمع البحوث الإسلامية في مصر، ومجمع الفقه الإسلامي في رابطة العالم الإسلامي، ومجمع الفقه الإسلامي في الخرطوم، والمجلس الأوربي للإفتاء والبحوث، ومجلس الفقه الإسلامي في أمريكا الشمالية، والاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، وغيرها، ونرى أن إنشاءها خطوة في غاية الأهمية، ونأمل أن تنسِّق هذه المؤسسات المباركة مع بعضها؛ لأن هذا التنسيق يزيد من حجم الفائدة ، كما نأمل

أن تستكمل أجهزتها الفنية بأهل الاختصاص والخبرة، فإن ذلك يعطيها مزيداً من المصداقية والفاعلية.

38) جماعة من المسلمين

نؤمن أن أي جماعة أو حزب أو حركة دعوية هي جماعة من المسلمين، وليست جماعةَ المسلمين، وقيمة أي واحدة منها إنما تكون بصوابها في الفكر وإنجازها في الممارسة والتطبيق.

39) مخاطر التعميم

تشيع آفة التعميم الضار في كثير من أدبيات الدعويين؛ فمثلاً يقع التقرير أن القوى غير المسلمة لا تلتقي إلا على حرب الإسلام، وأن اليهود سادة العالم يتحكمون به وكأنهم على كلِّ شيءٍ قادرون، وأن كلَّ عملٍ إسلاميٍّ رسميٍّ هو خديعة ومؤامرة واحتواء وضرار ينبغي الحذر منه، وأن كل عمل إسلاميٍّ شعبيٍّ هو خير محضٌ وصواب تامٌّ، وأن الخطَّ البياني للأمة الإسلامية في صعود مطَّـــرد لدى فريق أو في هبوط مطَّـــرد لدى فريق آخر، وأن المؤامرة موجودة في كلِّ شيءٍ لدى فريقٍ، أو أنها غير موجودة نهائياً لدى فريقٍ آخر، وهذا التفكير يفتقد الإنصاف، والموضوعية، ويقع في السذاجة والتسطيح، ويلجأ إلى

الأحكام الجاهزة العجلى المعلبة، ويريح ذويه من واجب البحث عن البدائل والحلول والمبادرات، ويوهمهم أنهم معذورون إذا ركنوا إلى الكسل والسلبية؛ لأنهم – كما يرون، أو يخيَّـــل إليهم أنهم يرون، أو يتمنون أنهم يرون – أمام طوفانٍ من القوى الشريرة لا قِبَلَ لهم بها، ثم إن هذا التفكير مخالفٌ لسنة الله تعالى في التدافع. إن واجب المسلم أن يحذر من هذه التعميمات الضارة وأمثالها، وأن يشعل نور عقله وحماسة قلبه، ويحسن تحليل الأمور، ووضعها في أنصبتها، ويجهد نفسه في فهم الأسباب والمسببات، والعلل والنتائج، وفي اختيار الحلول واختراعها، وألا يقع في أسر الأوهام، ومنطق الاختيار الملزم بين متناقضين لا بدَّ من أحدهما: الأسود أو الأبيض، والملاك أو الشيطان، والسهل أو المستحيل، والتهوين أو التهويل.

40) مسؤولية البشر

إن الله عز وجل تعهَّد بحفظ دينه وحمايته، ولكنه –وله حكمته البالغة– كلف المسلمين بهذه المهمة الجليلة، فهذا الدين، وإن كان هو الحق المبين، إنما يجري به القدرُ، ولكن بأيدي البشر، ونحن جميعاً نعلم حجم التضحيات الكبرى التي بذلها الأنبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام،

وحواريوهم، وصحابتهم، ومن سار على دربهم، لنصرة هذا الدين، وبهم نقتدي وعلى منهاجهم نسير.

41) القدوة الحسنة

ينبغي للدعاة أن يتذكروا أن القدوة الحسنة من أكثر وسائل العمل الدعوي أهمية ونجاحاً، ولقد نجح الدعاة المسلمون في نشر الإسلام بوسائل متعددة، وفي مقدمتها القدوة الحسنة؛ ولذلك فالمطلوب منهم بادئ ذي بدء أن يكونوا في الناس قدوة عملية لما يدعونهم إليه.

42) مصطلحات دقيقة

ينبغي أن نحرص على أن تكون لنا مصطلحاتنا الخاصة بنا، وأن تكون هذه المصطلحات دقيقةً واضحةً مستقلةً، وأن نختارها بعناية وحكمة، ونتحاشى الانسياق وراء الموجات الفكرية التي تسود بين الحين والآخر؛ فلا نصف الإسلام بأنه اشتراكي إذا راجت سوق الاشتراكية، ولا رأسمالي إذا راجت سوق الرأسمالية، ولا ديمقراطي إذا راجت سوق الديمقراطية، وهكذا، فالإسلام هو الإسلام بمعاييره وثوابته ومنطلقاته ومآلاته، وتلاقي بعض مبادئه مع غيره مرده إلى شموله وإحاطته بكل شيءٍ، لكن هذا التلاقي لا يجيز لنا

أن نصفه بهذه الموجة الفكرية أو تلك؛ لأنه الأصل وسواه الفرع، ولأنه الثابت وسواه المتغيّر، ولأنه الحق الخالص؛ خلافاً لسواه من المبادئ التي يتفاوت حظها من ذلك.

43) كتابات واضحة

ينبغي أن تكون كتاباتنا الدعوية، واضحة، محسوبة، منضبطة؛ بحيث يكون لها معنى واحد، يصدر من كاتبه إلى قارئه؛ فيكون المفهوم واحداً عند الاثنين، وفي هذا فائدتان مهمتان؛ الأولى: توحيد المفاهيم الفكرية والسلوكيات العملية لدى أبناء الدعوة، والثاني: القضاء على البلبلة والاضطراب في صفوف أبناء الدعوة، ولاسيما الناشئة منهم، ومنع التأويلات الخاطئة التي يسمح بها كلام مائع غائم ضبابي من شأنه أن يؤدي إلى اجتهادات متناقضة، وإفراط أو تفريط، وفتن وانقسامات.

44) مرحباً بالآخر

إن مبادئنا ليست ملكاً لنا، بل نحن ملك لها؛ لذلك ينبغي ألا تضيق صدورنا بجهود الآخرين الذين يعملون لها، وإن كان لهم أسلوب آخر واجتهادات أخرى، بل يجب أن نفرح بذلك، لأن جهودهم وجهودنا تلتقي في خدمة الدعوة، وعلينا

أن نحبهم ونثمِّن جهودهم، وننصح لهم، ونتعاون معهم ما أمكن ذلك، وعلينا أيضاً أن نفيد من أي جهد نافع نجده لدى شخص أو جماعة، مهما قلَّ، ولو كان فيه شيءٌ من الخطأ أو القصور.

45) انتماءان متكاملان

ينبغي للدعاة أنى كانوا أن يحرصوا على صيانة الوطن، وأمنه، ومنجزاته، وبيئته، ومستقبل أجياله؛ ذلك أن العلاقةَ بين الانتماء الفطريِ للوطن والقوم والانتماء الاختياري للدين والمبدأ علاقةُ تكاملٍ وانسجام، لا علاقة تناقضٍ وتضاد.

46) لا نحتكر الصواب

إننا نعلن ونؤكد بوضوح وحزم أننا لا نحتكر الصواب، ونحذِّر الآخرين من الوقوع في وهم احتكاره، إننا نؤمن بأهدافنا ووسائلنا، ولكن لا ندعي لها الكمال، ونرحِّب ونشكر من يدلنا على ما فيها من خطأ أو قصور، كما أننا نحترم خيارات الآخرين من حيث الأهداف والوسائل، والمطلوب منا جميعاً أن نخلص نوايانا لله عز وجل، وأن نتحرى الصواب، ونتحلى بشجاعة التجدد، ونقر بالخطأ إذا

ظهر منا، بكل صراحة، ونفرح بالصواب إذا ظهر من الآخرين، بكل سرور، ومن لوازم ذلك أن ندعو إلى تبادل الخبرات؛ فذلك أمرٌ شديد الأهمية في إغناء معلومات الداعية والمنظمة، وإثرائها بالأخذ والعطاء؛ ذلك أنه لم يوجد ولن يوجد مَنْ هو فوق النصح والإرشاد، أو مَنْ يحتكر الصواب كله في حين يحتكر الآخرون الخطأ كُلَّهُ.

47) **تعصبٌ وتعصب**

إن من الطبيعي أن يتعصب الداعية للوسيلة التي اختارها؛ ذلك أنه اختارها لما وجد فيها من مزايا تجعلها أفضل من سواها في نظره، وعليه ألا يدعي لها العصمة والكمال، وألا يظلم وسائل الآخرين، وهذا هو التعصب المباح والمحمود والواجب، فإن خالف ذلك وقع في التعصب المذموم الذي يحرمه الإسلام ويصفه بأنه جاهلية، وهذا يستدعي أن نتذكر دائماً أن مقياس التفاضل هو التقوى والعمل الصالح؛ الأمر الذي يستدعى بالضرورة تحاشي كل العصبيات الجاهلية؛ من التعصب لإقليم أو عشيرة أو حزبٍ أو طائفة من الناس.

48) منطق الأولويات

نؤكد على منطق الأولويات، ونعلي من قدره، وندعو إليه، فقضايا الإسلام ليست على درجة واحدة، فمثلاً قضية الإيمان والتوحيد أهم بكثير من قضية إماطة الأذى عن الطريق، وقضايا العمل الدعوي ليست على درجة واحدة كذلك، لذا ينبغي لنا أن نعيها جيداً، ونضع كل قضية في مكانها، وينبغي لنا أيضاً أن نعيد ترتيب هذه الأولويات بين الفينة والأخرى، حسب المتغيرات؛ لأن سلم الأولويات في الإسلام ثابت، ولكنه في العمل الإسلامي متغير حسب الزمان والمكان والإنسان، ومما يتصل بمنطق الأولويات أن نمتلك القدرة على الموازنة بين الأضرار حين تقع؛ فنختار الضرر الأقل، وأن نمتلك القدرة على الموازنة بين المنافع حين تتاح؛ فنختار الأكثر منها فائدة.

49) فقه المقاصد

ينبغي للدعاة أن يعوا جيداً فقه المقاصد، ويتعمقوا فيه، فلا يجوز لهم أن يتمسكوا بظواهر النصوص، واقفين عند حرفيتها، غافلين عما وراءها من المقاصد والأسرار والحكم، وليس معنى هذا إغفال قيمة النصوص، بل النفاذ إلى روحها، والموازنة بين المتفق والمختلف منها، وفهم الجزئيات في ضوء الكليات، وفي ضوء المقاصد العامة

للشريعة، وفي ضوء القاعدة الفقهية التي تقول: (العبرة بالمقاصد والمعاني، لا بالألفاظ والمباني)، وأختها التي تقول: (الأمور بمقاصدها)، ولا شكَّ أن ذلك يقتضي منا الإصغاء إلى المختصين في هذه المجالات.

50) فقه المآلات

ينبغي للدعاة أن يعرفوا فقه المآلات، أي النتائج ومجريات الأمور التي سوف تترتب على قرارهم هذا أو ذاك، وهذا الأمر يستدعي معرفة عميقة بسنن الله عزَّ وجلَّ، وإدراكاً واسعاً للظروف المحلية والإقليمية والعالمية، لذا يجب عليهم أن يطيلوا النظر في مآل أي قرار قبل اتخاذه، وأن يدركوا آثاره عليهم وعلى مَنْ حولهم، وأن يعتمدوا في حساباتهم على اليقين لا الظن، والأناة لا العجلة، والقدرة لا الوهم، وفي تاريخ العمل الإسلامي قراراتٌ طائشة أراد بها أصحابها دفع شر أو صنع خير فإذا المآل نكبة دامية أو سلسلة من النكبات.

51) فقه الواقع

ينبغي للدعاة أن يكونوا قادرين على معرفة فقه الواقع، والإحاطة الجيدة بالظروف والملابسات المتصلة به، وإدراك

المسافة الحقيقية بين الآمال المرجوة والإمكانات المتاحة، وبذلك تكون شعاراتهم وأهدافهم وبرامجهم قابلة للتطبيق، الأمر الذي يستدعي العمل على تهيئة العقول والضمائر، وجمع الناس حول أمور واضحة ومختارة بعناية، ورعاية الضرورات، والأخذ بسنة التدرج.

52) تنمية الشعور بالمخاطر

المسلمون أمة مستهدفة منذ كانت؛ لأنها أمة رسالة ودعوة، ولذلك تظل مهددة بالمخاطر من قِبَل أعدائها؛ لأن أكثرهم للحقِّ كارهون؛ فينبغي لنا أن ننمي الشعور بهذه المخاطر لدى أبنائها، الأمر الذي يدعو إلى التقارب وكراهية الخلاف، ثم إن الجميع مهددون بهذه المخاطر ومقصودون بها، وإن الجهل بهذه المخاطر يجعلها أشد فتكاً، ثم إن المخاطر نوعان: مخاطر خارجية تأتي من الآخرين ومخاطر داخلية تنبع من داخل الصف وعبرة التاريخ تؤكد لنا أن المخاطر الداخلية كثيراً ما تكون أفتك وأرهب.

53) الأخوّة الإسلامية

الأخوة الإسلامية مبدأ أصيل من مبادئ الإسلام، وركن ركين من قواعد العمل الدعوي، وشيوعها مدعاة لرضوان

الله تعالى في سمائه، وللنصر في أرضه، وغيابها مدعاة لسخط الله عز وجل في سمائه، وللخذلان في أرضه، وعلى الدعاة أن يُعْلوا من شأنها على صعيدي الفكر النظري والممارسة العملية، ويحذروا من كل ما يخالف ذلك، وإن تحقيق الأخوَّة بين الدعاة دفء ورحمة، وعون ونصرة، وبشارة تومئ إلى النصر، وغيابها هو عكس ذلك، إنه الكدر والقسوة، والأثرة والاستحواذ، ونذير يومئ إلى الخذلان.

54) الدعوة مسؤولية عامة

الدعوة إلى الإسلام واجبة على الجميع، وليست مقصورة على طلاب العلم الشرعي فقط، وإن كانت مسؤولية هؤلاء أكبر من مسؤولية سواهم، على أنه ينبغي لنا أن نتذكر أن الإسلام يستوعب الجميع، الجبان والشجاع، والبخيل والكريم، والغبي والذكي، وما إلى ذلك، لكن العمل الدعوي لجلالته وأهميته وخطورته، يحتاج إلى المعادن العالية من أهل المروءة والكرم، والشجاعة والصبر، والعزيمة والرجولة، والإنصاف والإيثار، فينبغي لنا التركيز على أصحاب هذه المعادن واكتسابهم وتقديمهم، فهم زينة في الرخاء وعدة في الشدة، وعلى أمثالهم تقوم الدعوات، وهذا لا يعني أنهم مبرؤون من الخطأ والنقص؛ فلكل إنسان نصيب من ذلك، ولكن معناه أنهم في جملتهم معادن عالية،

إذا أخطأت عادت إلى الصواب، كما أنها تؤثِر العامَ على الخاص، والجوهر على الشكل، والحقيقة على الصورة، وتثبت على المبدأ، أياً كانت المخاطر، حتى تلقى الله عزَّ وجلَّ عليه، وكلما كثرت المعادن العالية في العمل الدعوي وقلّ سواها كان هذا من أمارات النجاح والعكس بالعكس.

55) حماسة منضبطة

الحماسة خيرٌ وبركة لأنها توقد روح العزم، والفاعلية، والمبادرة، والبذل، والتنافس، والإيثار، والابتكار، وما إلى ذلك من صفاتٍ حميدةٍ من شأنها أن تدفع العملَ الدعويَّ إلى الأمام. وبمقدار وجود هذه الروح يتقدَّم العملُ، وبمقدار ضعفه يضعف العملُ. من هنا اعتاد الدعاة على إيقاد شعلة الحماسة وحسناً يفعلون، ولكن لا بدَّ من مراعاة أمرين مهمين، الأول: أن تكون جرعة الحماسة محسوبة بدقَّةٍ، مثلها مثل الدواء الذي يصفه الطبيبُ للمريض؛ فيحدد له الجرعة المناسبة بحيث لا تزيد ولا تنقص؛ ذلك أن زيادة هذه الجرعة – وخاصةً عند الشباب – تولِّد لديهم شحنةً من الحميَّة والانفعال ربما عبَّرت عن نفسها بطريقةٍ خاطئةٍ. الثاني: أن على الداعية الحكيم أن يهيِّئ لمن معه مصارف عملية نافعة يفرغون فيها شحنة حماستهم؛ فيشعرون أنهم نافعون، لأنهم فعلوا ما يقدرون عليه، وينجون من تأنيب

الضمير الذي يستبدُّ بهم إن لم يفعلوا، وبالتالي يفرحون ويهدؤون، كما أن الناس ينتفعون بأعمالهم ويسعدون.

56) بين الرسمي والشعبي

العمل الإسلامي الرسمي هو العمل الذي تقوم به جهاتٌ حكوميةٌ تابعةٌ للسلطة، والعمل الإسلامي الشعبي هو العمل الذي تقوم به جهاتٌ أهليةٌ غيرُ تابعةٍ للسلطة، وقد جرت العادة -في غالب الأحيان- على وجود سوء ظنٍّ أو تربُّص أو اتهامٍ أو عداوةٍ بينهما. وابتداءً لا بد لنا من أن نتذكَّر أمرين مهمين، الأول: أنه لا يوجد منهما من هو خطأٌ مطلقٌ أو صوابٌ مطلقٌ، ففي كلٍّ منهما شيءٌ من هذا وذاك. الثاني: أنه قد يحصل تبادلٌ في الأمكنة؛ فيتحوَّلُ الشعبي إلى رسمي، أو يتحوَّل الرسمي إلى شعبي، والمطلوب أن يبذل الفريقان جهداً دؤوباً حكيماً مخلصاً لبناء جسور الثقة، والتفاهم، والتعاون، والتغافر؛ لأن الدعوة مسؤولية الجميع، فإن وقع ذلك فالفوائد كثيرة جداً، وإلا دخل الجميعُ من رسميين وشعبيين في مسلسل من المتاعب وربما النكبات. إن القضية ليست سهلة، لكنها ليست مستحيلة، وهي بسبب أهميتها الفائقة تحتاج إلى جهدٍ فائقٍ علينا أن نبذله.

57) الإخلاص والصواب معاً

يحتل الإخلاص في الإسلام مكانةً عاليةً؛ لأنه روح العمل وشرط القبول، والعمل الذي يفتقد الإخلاص ضائعٌ لا محالة؛ لكنَّ الإخلاص وحده لا يكفي؛ فالعمل قد يكون مخلصاً لكنه لا يكون صواباً، والخوارج كانوا في غاية الإخلاص، غير أن أخطاءهم كانت هائلة. لذلك ينبغي أن تقترن الدعوة إلى الإخلاص بالدعوة إلى الصواب؛ فهما معاً طريق النجاح. وعليه؛ فينبغي للدعاة أن يعرفوا قيمة الصواب ويحثوا عليه، ويدعوا إلى تحريه بنفس الدرجة التي يدعون فيها إلى الإخلاص. وذلك لسببين مهمين، الأول: قيمة الصواب وأنه توأم النجاح، وشرطه، وشطره. والثاني: أن أكثر العاملين في الحقل الإسلاميّ تغلب عليهم الطيبة وحسن النية؛ لذلك وقع وسيقع استدراجهم، واختراقهم، وخديعتهم، وتوريطهم. وفي بعض الأحيان كانوا يبذلون جهودهم في الميدان المفضول مع وجود الأفضل، وفي أحيانٍ أخرى كانوا يبذلون جهوداً لاحاجة إليها، وفي بعض الأحيان – وهذا منتهى الجهل والحماقة – كانوا يبذلون الجهود والتضحيات في المكان الخطأ، وكانوا وقوداً لتغييرٍ هم أول ضحاياه، وكان الوضع الجديد الذي جاء به التغيير أسوأ بكثير من سابقه.

58) قصور بالغ

يتسم أداء كثيرٍ من المسلمين، ومنهم العناصر الدعوية، بقصورٍ بالغٍ في شؤون دينهم ودنياهم، وهو أمرٌ يتناقض مع ما منَّ الله به عزَّ وجلَّ عليهم من نِـعَـمٍ جليلة تؤهلهم ليكونوا قادة البشرية وصناع الحضارة، من عقيدةٍ صحيحةٍ دافعةٍ، وثرواتٍ واسعةٍ، وموقعٍ إستراتيجيٍّ مهمٍّ، ونموٍّ بشريٍّ متزايد. لذلك ينبغي لعقلائهم أن يعكفوا على دراسة هذه المشكلة بحيث يخرج المسلمون من العطالة إلى الفاعلية، ومن القصور إلى التقدم، وأهم ما يعين على ذلك: الجدية، والإبداع، والتقويم، والتنافس، والإتقان، وتكافؤ الفرص، والعمل المؤسسي، وتشجيع المحسن، ومحاسبة المسيء، وحبّ العمل.

59) المؤامرة

كثر الحديث في العقود الأخيرةِ عن المؤامرة بين من يعممها، ومن ينكرها، ومن يتحفَّظ في موقفه تجاهها. والحقيقة أن المؤامرة وُجِدَتْ منذ وُجِدَتِ البشريةُ، وسوف تبقى، ولكن لا يصحُّ لنا ديناً ولا عقلاً أن نفسر كل شيءٍ على أنه مؤامرة، وعلينا أن نعرف أن المؤامرة تنجح مرة، وتخفق مرة، وتنقلب على أصحابها مرة. وأن نتعامل معها بعيداً عن الطرفين المتناقضين الخاطئين، وهما التهويل

والتهوين، وذلك بوضعها في حجمها الصحيح، وأن ننشغل بقوانين الصراع والوفاق مع الآخرين أكثر مما ننشغل بتفاصيله، وألا نعلِّق أخطاءنا وعجزنا على مشجب المؤامرة، ثم إن أخطر من المؤامرة علينا أن نقع ضحايا الغفلة عنها، أو تهويلها، أو تهوينها، أو سوء التعامل معها، أو إهدار الأسباب التي أمرنا الله عزَّ وجلَّ بها.

60) دائرتا التأثير والاهتمام

للمسلم في حياته دائرتان، الأولى: دائرة التأثير، والمقصود بها ما يقع في وسعه مما يستطيع أن ينشط فيه فيكون نافعاً لنفسه ولسواه، مثل العناية بصحته ورزقه، وخدمة أقاربه وزملائه، وهداية من حوله، وتطوير قدراته، والسهر على أسرته، ومعرفة القوانين التي تحكم عمله وبلده، وما إلى ذلك. الثانية: هي دائرة الاهتمام، والمقصود بها متابعة أمور محلية وعالمية مما لا يستطيع أن يؤثر فيه قليلاً أو كثيراً، مثل ارتفاع سعر الدولار، وانتخابات الرئاسة في بلاد أُخرى، والتلوث، وثقب الأوزون. والمسلم العاقل مطالبٌ بأن يجعل تركيزه الأكبر على الدائرة الأولى؛ لأنه قادرٌ على التأثير فيها، ولأنها مناط تكليفه الشرعي. أما الدائرة الثانية فينبغي له أن يتعامل معها بأضيق الحدود؛ حتى يكون مطَّلعاً على ما يجري في عصره، متصلاً مع

الآخرين. أما إذا توسع فيها فيكون قد وقع في المحظور، وبدد جهده ووقته وأعصابه فيما يحزنه ولا يقدر على تقويمه، فينتهي إلى دوامة القلق والإخفاق والأحزان، وربما انزوى على نفسه، وانسحب حتى مما يقدر على أدائه، واخترع لنفسه الأعذار في ذلك، وربما حمَّـل الأقدار مسؤولية ما جناه على نفسه، وما أجمل الحكمة التي تقول: الناجحون ماهرون في اختراع الحلول والبدائل، والمخفقون ماهرون في اختراع المبررات والأعذار.

61) أهمية العربية

اللغة هي وعاء العلم والمعرفة، وأداة التواصل، وهي من أبرز مكونات الهوية؛ وبهذا تحتلُّ مكانتها العظمى في حياة الناس، واللغة العربية تشارك غيرها من اللغات في ذلك، وتتفرد عنها بأنها اللغة التي اختارها الله عزَّ وجلَّ لكتابه الكريم، والله سبحانه وتعالى –وله حكمته البالغة– أعلم حيث يجعل رسالته؛ زماناً ومكاناً وإنساناً ولساناً، ولقد كانت اللغة العربية لسان القرآن الكريم والسنة المطهرة ومعظم التراث الإسلامي، ويدلُّ استقراء التاريخ الإسلامي على أنه حيثما انتشر الإسلام مقترناً باللغة العربية كان ذلك أدعى إلى حسن فهمه واستمراره، حتى بعد زوال سلطانه السياسي أو ضعفه، من هنا ينبغي لنا أن نسعى إلى نشر

اللغة العربية ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً في البلدان المسلمة غير العربية، وحيث نمارس نشاطاً دعوياً لنشر الإسلام.

62) تحديد الأهداف

لكلِّ عمل دعويٍّ أهداف يسعى إليها، وتحديد هذه الأهداف أمرٌ في غاية الأهمية؛ لذلك ينبغي أن يعكف القائمون على هذا العمل الدعوي أو ذاك، علي تحديد ما يريدون بدقةٍ ووضوح، وأن يكتبوا ذلك كتابةً تُحسَبُ فيها كلُّ جملة، بل كلُّ كلمةٍ، من حيث دقتها، ووضوحها، وصحتها، والحاجة إليها، والقدرة على تبنيها، ومَنْ يخلط -فرداً أو جماعةً- بين الآمال الجميلة العصية، وحقائق الواقع المتاحة، فإن حظُّه من الإخفاق أكبر من حظِّه من النجاح، وربما انتهى إلى الهلاك، والخطأ حين يقع من الأفراد هو كارثة، لكنه حين يقع من الجماعة يكون كارثة مضاعفةً، وإن من أذكى النقد الموجَّه إلى العمل الدعويِّ أن أكثر أبنائه يعرفون (ما لا يريدون) لكنهم لا يعرفون بالضبط (ما يريدون)، وحين يتبنى العمل الدعوي أهدافاً خاطئة، أو صحيحة لكنها غير ممكنة، فإنه يؤذي نفسه لأنه يعدو خلف السراب، ولن تشفع للقائمين عليه نواياهم الحسنة؛ لأن حسن النية نصف المطلوب، أما النصف الآخر فهو الصواب. إن على أصحاب العمل الدعويِّ أن يعرفوا

بوضوحٍ تامٍّ (مَنْ همْ)؟ و(ماذا يريدون)؟ ويحددوا في ضوء ذلك خططهم وبرامجهم؛ فيكونوا بذلك أمناء صادقين مع أنفسهم، وأمناء صادقين مع مَنْ يلبُّــون دعوتهم، فإن فعلوا ذلك فقد أحسنوا وإلا كانت الفاجعة.

63) شجاعة وشجاعة

الشجاعة صفة عظيمة ينبغي للدعاة أن يتحلوا بها؛ لأنها من أهم عدتهم في العمل الدعوي، وما تحلى العمل الدعوي بالشجاعة إلا كان ذلك من أسباب فوزه، وما تخلى عنها إلا كان ذلك من أسباب خذلانه، إلا أن هناك شجاعة أخرى هي شجاعة الإحجام، وهي شجاعة المُكث والتريُّث والانسحاب؛ حين يدعو إلى ذلك قرارٌ مبــرَّر تتخذه مرجعيته المعتمدة في جوٍّ من الصراحة والنقاء والحرية المسؤولة؛ بل إن هذه الشجاعة أهم من شجاعة الإقدام؛ ذلك أن صاحبها لا يبالي بانتقاص الآخرين لــه؛ لأن رؤيته أوسع، وحساباته أبعد، وقراره متسقٌ مع اقتناعه، وإن انسحاب خالد بن الوليد رضي الله عنه في معركة مؤتة أوضح دليلٍ على ذلك.

64) مكانة لا تُطلَب

العمل الدعوي أشرف مهمة في الحياة؛ لأنه مهمة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام. وقد جرت العادة

-في غالب الأحيان- أن من يتصف بصفة دعوية يحظى باحترام الناس وحبهم؛ فتكون له مكانة متميزة. والمهم أن من يعمل لله عزَّ وجلَّ لا ينبغي له أن يسعى إلى هذه المكانة، بل يجعل مسعاه خالصاً لوجهه الكريم، فإن جاءته هذه المكانة، على غير استشرافٍ منه لها، فينبغي له أن يحمد الله عزَّ وجلَّ عليها، ويحرص أن يكون على مستواها، ويقابلها بحبِّ الناس، وبرّهم، والتواضع لهم، والسعي في خدمتهم، والتعفف عما في أيديهم. إن عليه أن يراها مسؤوليةً لا جاهاً، وعبئاً لا زينةً، وغرماً لا غنماً، وتكليفاً لا تشريفاً.

65) رسالة لا حرفة

إن العمل الدعوي إذا تحوَّل من رسالةٍ إلى حرفةٍ -وما أكثر وقوع ذلك- غلب الشكل على الجوهر، والعطالة على الفاعلية، والأثرة على الإيثار، والأدعياء على الأصلاء، والمنافقون على الصادقين، وهذه كلها طامَّات تقع بدرجاتٍ متفاوتةٍ في هذا العمل الدعوي أو ذاك حين يتحوَّل من رسالةٍ إلى حرفةٍ. وهي تزهِّد المسلمين في العمل الدعوي، وتعطي أعداء هذا العمل أسلحة قويةً ضدَّه.

66) المهتدون الجدد

من طبيعة المسلم أن يفرح بكلِّ مهتدٍ جديدٍ يعتنق الإسلام، لكن هذا الفرح يتجاوز حده أحياناً فنقع في أخطاء من الممكن تفاديها، وحتى نحقق المصلحة لنا وللمهتدي الجديد، وحتى ننجو من الخطأ المحتمل، علينا أن نتأكد من نية المهتدي الجديد، وعقله، واستقامته، وحكمته، ثمَّ نساعده باعتدال حتى يتعمَّق فيه الإسلام؛ نيةً وفهماً وسلوكاً، وبذلك يظلُّ في حجمه الطبيعي الذي ينمو بهدوء، أما إذا بالغنا في الحفاوة بمن يسلم -مادياً وأدبياً- فقد نحوله إلى مرتزقٍ، وقد نحوله إلى إنسانٍ مغرورٍ يتوهَّم أنه أستاذ لنا ينبغي أن نتعلم منه لا أن يتعلمَ منا.

67) المذاهب الفقهية

المذاهب الفقهية عامةً، والأربعة منها المتبوعة خاصةً، تراثٌ نفيسٌ، وثروةٌ غنيةٌ جداً، حررها العلماء، وصقلتها القرون، وهي من مفاخر الأمة المسلمة، وللمسلم أن يختار منها المذهب الذي يتبعه، والمنصوح له أن يتعرف -ما استطاع- أدلة مذهبه، وأن يحترم اختيارات الآخرين، وأن يدور الحوار معهم -حين تدعو إلى ذلك دواعيه- بالأدب والموضوعية، وتحري الحق، والفرح به، سواء كان معه أو مع سواه، وفي كل هذه المذاهب حظٌّ يتفاوت من الصواب

والخطأ، والفاضل والمفضول، وهو أمرٌ يقرره العلماء الأَثبات الذين يمتلكون القدرة على المقارنة والمفاضلة والاختيار والتجديد. وإن التعصب المذموم للمذاهب ضارٌّ جداً، لكن الانتقاص منها، ومحاربتها، ودعوة عوام المسلمين إلى تركها، والأخذ من الكتاب والسنة مباشرة أشد ضرراً، أما الدعوة إلى إلغاء المذاهب فهو أمرٌ غير ممكن عملياً، ثم إن الذين يحاولون ذلك ويجتمعون على اجتهادات وأحكامٍ فقهية يختارونها، أو يختـارها لـهم مشايخهم إنما يضعون -من حيث يعلمون أو لا يعلمون- نواةً مذهب فقهي جديد، وبذلك يقعون فيما انتقدوا فيه الآخرين.

68) المرأة المسلمة

تعاني المرأة المسلمة من ظلم كبير يلحقها من طرفين متشددين، الأول: هو الغلو العلماني الذي يسعى إلى إفساد المرأة المسلمة وإبعادها عن دينها وفطرتها وكرامتها وخصوصيتها، والثاني: الغلو الديني الذي يسعى إلى تحنيط المرأة المسلمة وتجميدها والحجر عليها، ومنعها من أداء دورها في الحياة، وأصحاب هذا الغلو ملومون، حتى لو كانت نواياهم خيِّـرة. إن نظرة الكثير منهم إلى المرأة نظرة شكٍّ، وريبة، واحتقار، وفهم مغلوط لمبدأ القوامة، ومرد هذه النظرة إنما يعود إلى الجهل بحقوق المرأة في

الإسلام وشخصيتها، وسيطرة العادات والتقاليد التي تراكمت عبر الزمن، وألبسها تقادمُها لبوساً دينياً، والدين منها براء. إن على المسلمين عامة، والدعويين منهم خاصة، أن يثقوا بالمرأة، وينصفوها، ويهيئوا لها السبيل لأخذ مكانتها في الحياة، وفي طليعة ذلك دورها الدعوي، وفي ذلك فوائد كثيرة أبرزها: تحقيق العدل، والعدل مبدأ إسلامي مهم، والانتفاع بجهودها في العمل الدعوي، ولاسيما المجالات التي تتفوق فيها على الرجل، وقطع الطريق على الدعوات الضالة التي تخدعها وتوهمها أنها تريد تحريرها، متذرعةً بالمظالم التي تلحق بها من هنا وهناك. إن الإسلام هو الذي حرر المرأة تحريراً عادلاً متوازناً، وحفظ لها حقوقها، وكرامتها، واستقلالها، وفطرتها، وخصوصيتها، وجعلها نصف المجتمع، وشقيقة الرجل، وصانعة الأجيال.

69) شمول معنى العبادة

إن غاية الوجود الإنساني كله هي عبادة الله عزَّ وجلَّ الذي قال: (وما خلقت الجنَّ والإنس إلا ليعبدونِ) وهذا المفهوم الشامل للعبادة يجعل الإنسان أكثر طاعةً لله عزَّ وجلَّ، وأكثر فرحاً بصلته الدائمة به، وأكثر نفعاً للعباد والبلاد، ومن المؤسف أن هذا المفهوم الشامل للعبادة اُختُزِلَ لدى الكثيرين في الشعائر التعبدية فقط؛ فصارت عندهم هي

كل العبادة. ومما يجدر ذكره هنا أن التقسيم الاصطلاحي المأثور في التراث الإسلامي إلى: عقائد وعبادات ومعاملات، هو تقسيم علميٌّ دعت إليه مقتضيات الدراسة والتعليم لا أكثر ولا أقل، لكن هذا التقسيم أدى لدى بعضهم إلى حصر مفهوم العبادة في الشعائر التعبدية، وهو خطأ فادحٌ أدى إلى شيوعه سوءُ الفهم من ناحية، وبروز الوجه التعبدي في الشعائر أكثر من سواه من ناحية أخرى. من أجل ذلك نؤمن بمفهوم العبادة بمعناه الواسع الذي كان عليه السلف الصالح، وندعو كل مسلم إلى تبني هذا المفهوم بحيث تشمل العبادة عنده كل شيءٍ؛ من العقائد، والسياسة، والشعائر التعبدية، والمعاملات، وعمارة الأرض، وتبليغ الرسالة، والمتع الحلال، والترويح، والإتقان، والإحسان، وما إلى ذلك.

70) نحو المستقبل

يظلُّ الزمن بأمر الله عزَّ وجلَّ في حركة دائبة لا تتوقف؛ فالحاضر ابن الماضي وأبو المستقبل؛ لذلك ينبغي للعمل الدعوي أن يعتبر بتجارب الماضي، ويحسن التعامل مع الحاضر، ويعدَّ للمستقبل، ويأخذ بالأسباب فيٍ حدود الطاقة، ويترك الأمر لربِّ الأسباب إيماناً به وتوكلاً عليه؛ لذلك فإن استشراف المستقبل، والتخطيط لـــه، واجبٌ على

العمل الدعوي، وأمارة على الرشد، وسبب للنجاح، فإن فعل ذلك فقد أحسن، وإن لم يفعل حكم على نفسه بالجمود والانزواء؛ ليصبح بعد حينٍ خبراً من الأخبار، أدى مهمته، وطوته الأيام. والإسلام دين مستقبلي، نجد ذلك في كثير من الأمور أهمها أنه يدعونا دائماً إلى مراقبة الله عزَّ وجلَّ، والاستعداد ليوم الحساب؛ لأن مستقبلنا الحقيقي هناك، وكلنا يعرف قصة يوسف عليه السلام حينما أنقذ مصر من المجاعة خلال السنوات العجاف بتخطيطه المستقبلي الحكيم، وكان رسولنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام يعنى بالتخطيط المستقبلي عناية فائقة تتناول جميع الأمور، بما في ذلك التفاصيل الدقيقة، نجد ذلك في الهجرة إلى الحبشة، والهجرة إلى المدينة المنورة، والمعاهدة التي عقدها مع اليهود، والسرايا التي بثها، والحروب التي قادها، والرسائل التي بعث بها، وإحاطته بالشؤون المحلية والعالمية، وإحصائه لعدد المسلمين في المدينة المنورة، وما إلى ذلك مما تحفل به السيرة النبوية الشريفة.

71) ردة الفعل

نحذر من ردة الفعل التي تصيب بعض المصلحين، حين يرون انحرافاً في الفهم أو السلوك، فيتصدون لــه بأكثر مما ينبغي، فيبالغون، أو يضيقون من مساحةٍ واسعةٍ مباحة،

فالإمام محمد عبده تخوَّف من غلبة الجمود وشيوع الخرافة فأكَّد على قيمة العقل كثيراً، والشاعر محمد إقبال أحزنه ما رآه لدى المسلمين من عجزٍ وتواكلٍ بسبب فهمٍ مغلوطٍ للقضاء والقدر؛ فأعلى من قدرة الإنسان المسلم على الفعل. ومثل ذلك يقال عمَّن توسَّع في مفهوم البدعة لأنه رأى بدعاً ضالة أُلحقتْ بالدين والدين منها براء، ومن رأى تعصباً مذهبياً مذموماً فدعا إلى إلغاء المذاهب، ومن رأى شيوع الترف في بيئة معينة فاختار الزهد السلبي.

72) انتصارات وانكسارات

في التاريخ الإسلامي أمجاد كثيرة تبعث على الاعتزاز، وفي سجل العمل الإسلامي أمجاد أيضاً تبعث على الاعتزاز، وهذه الأمجاد تصبح شحنة نافعة إذا تحوَّلت إلى روح عملية تقود إلى محاولة احتذائها في المستقبل، كما أنها تصبح شحنةً ضارةً إذا تحولت إلى روحٍ عاجزةٍ تكتفي بالتغني والفخار. ومثل هذا يقال عما في التاريخ الإسلامي، وفي سجل العمل الإسلامي من أخطاء؛ فهذه الأخطاء التي فيهما تصبح شحنة نافعة إذا أخذنا منها العبرة واتجهنا إلى المستقبل بروحٍ عمليةٍ بانيةٍ، كما أنها تصبح شحنة ضارةً إذا وقفنا عندها مكتفين بالبكاء والتلاوم وجلد الذات.

73) حين تكون الحياة أولى

الشهادة منزلة عالية يهبها الله عزَّ وجلَّ للصفوة من البشر، ويتمناها المخلصون، ولكن الحياة في سبيل الله كالموت في سبيله؛ جهاد مطلوب ومبرور، بل ربما كانت الحياة في سبيل الله أنفع للمسلمين من الموت في سبيله، وذلك حين يستفرغ الدعاة طاقتهم لإعزاز الدين، وخدمة الأمة، وعمارة الأرض، وتقديم النموذج المشرف للمجتمع المسلم الذي يعجب الآخرين ويغريهم باحتذائه.

74) معاصٍ وطاعات

للقلوب معاص وطاعات، وللجوارح مثل ذلك، وأعمال القلوب مقدمة على أعمال الجوارح؛ لأنها تتصل بالقلب، وهو جوهر الإنسان، وهو الذي يدفع إلى الطاعة أو المعصية. والنجاة من معاصي القلوب أصعب من النجاة من معاصي الجوارح. واكتساب طاعات القلوب أصعب من اكتساب طاعات الجوارح. وعلىٍ المسلم أن يتجنب المعصية، ويلتزم الطاعة فيهما معاً، وبذلك يتحقق له التوازن المطلوب بين الشكل والجوهر، والصورة والمضمون، وصدق النية وحركة الجسد.

75) تديُّنٌ وتديُّن

التدين الصحيح هو عقلٌ يقظٌ، وقلبٌ سليمٌ، يكون صاحبه به شامةً بين الناس، ونموذجاً محبوباً يستدعي الإعجاب والاقتداء، وإننا إذ نشيد بهذا التدين نحذِّر من نقيضه وهو التدينِ المغشوش؛ الذي يصدر عن عقل مختلٍّ، أو قلب معتل، أو الاثنين معاً؛ لأنه في بواعثه ومآله يعمل للأوهامِ أو المصالح أو لهما معاً، وصاحبه يكون مكروهاً بين الناس، ونموذجاً منفِّراً، ولقد كان هذا النوع من التدين، وما يزال، من أسباب الصدِّ عن دين الله، ثم إن آثاره الضارَّة أسوأ بكثير من آثار المعاصي التي لا يحسب أصحابها على الدين، ومن سمات التدين المغشوش إتقان الصورة الظاهرة، وإهمال الحقائق الباطنة، والعناية بالنوافل على حساب الفرائض، والانصراف إلى المصالح الشخصية، وإهمال المصالح العامة، ومن سماته أيضاً أن يلبس أصحابه أهواءهم ونَقائصهم وعجزهم لبوساً دينياً، وأن يتطلعوا إلى مكانة لا يستحقونها، وأن ينتقصوا من آخرين نالوا مكانة محترمة عن جدارة واقتدار.

76) أحاديث الفتن والملاحم

الإسلام دينٌ محفوظٌ، ومنصورٌ بإذن الله، والمستقبل له وإن كره أعداؤه، تنطق بذلك آيات الكتاب الحكيم، ونصوص الحديث الشريف، وبشائر الواقع، وإرهاصات المستقبل. وينبغي للدعاة أن تكون ثقتهم بهذا الأمل تامة؛ لأنه صحيح بادئ ذي بدء، ثم إن هذه الثقة عونٌ لهم على بذل الجهد وكسب الأنصار، ومما يجدر ذكره هنا أن معظم أحاديث الفتن والملاحم ضعيف، والصحيح من هذه الأحاديث الذي يدل على أن أمور الأمة تسير دائماً من سيِّئ إلى أسوأ، له خصوصية زمانية، أو مكانية، أو شخصية، تمنع عنه صفة اليقين، وإن تعميم دلالتها خطأ بالغ؛ لأن هذه الدلالة المغلوطة تخالف نصوصاً شرعية قوية صريحة عامة تَعِدُ بالنصر، وتخالف سنة الله عزَّ وجلَّ في الكون، وتخالف وقائع التاريخ قديماً وحديثاً، كما أنها تخالف عدل الله عزَّ وجلَّ، فحاشا لله أن يكلف الناس العملَ على نصرة دينه ويَعِدُهم بذلك، وهم يشعرون أنهم مهزومون لا محالة، وحين نعرف أن الجزئي يُفهَم في ضوء الكلي، والظني في ضوء القطعي، فإننا نضع أحاديث الفتن ضمن حجمها الصحيح، ونظل على يقين أن الإسلام دينٌ منصورٌ بأمر ربه جلَّ جلاله.

77) ترفٌ وترف

الترف مفسدة مالية خطيرة تقود إلى مفاسد أخرى في جميع جوانب الحياة؛ لذلك حارب الإسلام الترف، وجعل شيوعه في أمة من الأمم نذيراً يومئ إلى الهلاك، من هنا كان على الدعاة أن يتصدوا للترف ويحاربوه، على أن هناك ترفاً آخر ربما كان أخطر ينبغي التصدي لــه، وهو الترف العقلي الذي يشيع لدى بعضٍ الدعاة أو الذين يتوهمون أنهم دعاة، نرى هذا الترف مثلاً لدى من يتصدى لدراسة فرقة انقرضت بما لها وما عليها، ولم تعد تشكل للأمة اليوم أية مشكلة، ونراه لدى من يكتب فصلاً كاملاً، أو كتاباً كاملاً، تقرؤه فلا تعرف بالضبط ماذا يريد، ونراه لدى من يحشد معلومات لا تخدم فكرته بالضرورة، وقدٌ لا تكون صحيحةً أصلاً؛ لأنه يريد أن يوهم القارئ بتميــزه وسعة معلوماته فينقادُ لــه، ونراه لدى من يكتب كلاماً ملتوياً ملفوفاً، ومرد ذلك أن الفكرة لديه غائمة، أو أنه لا يجرؤ على قولها لسبب أو آخر. إن هذه النماذج وأمثالها لون من الترف العقلي، وهو ترف مماثل للترف المادي، إن لم يكن أسوأ، ولا بد أن يحذر منه الدعاة الأسوياء المخلصون، وهو مضيعة للوقت والجهد والمال والأجر، وهروب من المسؤوليات الحقيقية، وقد يكون إلهاءً واحتواءً واستدراجاً من هذه الجهة أو تلك، ولا تغير النية الحسنة إن وُجِدَتْ من هذه النتيجة.

78) دين التوحيد والوحدة

الإسلام دين التوحيد ودين الوحدة، فالأمة المسلمة توحِّد ربها في عليائه، وتوحِّد حركتها في أرضه، لذلك ينبغي للعمل الدعوي أن يُعنى بالدعوة إلى الوحدة فكراً وشعوراً وممارسة، ويحذر من الفرقة فكراً وشعوراً وممارسة، والوحدةُ قوَّةٌ ورحمةٌ وبركةٌ وفاعليةٌ، كما أنها مدعاةٌ لعون الله عزَّ وجلَّ ونصرته، والفرقة عكس ذلك. وإن العمل الدعوي لم يستطع أن يقدم للأمة مكاسب تكافئ جهوده وتضحياته الكثيرة من أجلها، مع ما له من رصيدٍ كبيرٍ لديها، ومع أنه المعبر الحقيقي عن همومها وآمالها، ومرد ذلك إلى عددٍ من الأسباب في مقدمتها ما يعانيه العمل الإسلامي من فرقة تصل أحياناً إلى الكراهية والعداوة. ومما يعين على تحقيق الوحدة المنشودة، أو الاقتراب منها، إخلاصُ النية لله عزَّ وجلَّ، وإشاعةُ الحبِّ، وتركُ الجدل في مسائل هي من هوامش العقيدة، وفروع الفقه، اختلف فيها السابقون، وتنازع فيها اللاحقون، المصيبُ فيها مأجورٌ، والمخطئُ فيها معذورٌ.

79) تناقضات نافعة

من الأوهام الشائعة لدى بعض الدعاة أن القوى المعادية للإسلام تقف في صفٍّ واحدٍ ضده وبشكل دائم، والصواب

أن القوى المعادية تجتمع على حرب الإسلام مرةً وتختلف مرة، بل إنها في بعض الأحيان تتخذ مواقف تؤدي إلى نفع الإسلام والمسلمين بقطع النظر عن الدوافع التي تقف وراء ذلك. وعليه فينبغي للعقل المسلم أن يدرس القوى المعادية، ويدرك بدقةٍ ما بينها من تناقضات، ويوظف هذه التناقضات لصالحِ البلاد والعباد، أما الاستغراق في وهم التعميم فهوٍ مخالفةٌ لسنة الله تعالى، ومخالفةٌ لحقائق التاريخ قديماً وحديثاً، وهو كسلٌ عقليٌّ يريد أصحابه منه الهرب من إعمالِ العقول لرصد التناقضات واختراع الحلول، وهو أيضاً خديعةٌ نفسيةٌ يريد أصحابها منها إيهام أنفسهم بِأنهم معذورون في كسلهم وجبنهم لأنهم يواجهون قوى لا قِبَلَ لهم بها في قليلٍ أو كثيرٍ.

80) تطبيق أحكام الله

هناك سؤال مهم جداً؛ هو: كيف يتم تطبيق أحكام الله في البلدان التي غاب عنها ذلك لتعود إلى موقعها السيادي كما كانت؟ وابتداءً لا يوجد عاقلٌ يدعي أن هناك حلاً وحيداً يصلح لكل الأحوال. ولعل الحل التالي يصلح لكثير منها. ينبغي للدعاة أن يظلوا باستمرار يطالبون بتطبيق أحكام الله، بأسلوب سلمي علني دؤوب، ويبصِّروا الجميع بحقهم فيه، وواجبهم إزاءه، ومن فوائد هذا الأسلوب أن يزيل توجُّس

الحكام، أو يخفف منه، وهذا نافع للحكام وللدعاة على السواء، ومنها استثارة بقايا الخير لدى حاكم لا يفعل ذلك، عجزاً، أو خوفاً، أو هوىً، ومنها أن يقع التطبيق بالتدريج، وهو خير من الطفرة، ومنها أن تستعصي عملية المطالبة على الاختراق والتوريط من قِبَلِ مغامر أو مدسوسٍ أو أحمق؛ لأن سلميتها تحميها من ذلك، ومنها أن تقدر على تصحيح أخطائها؛ لأن علانيتها تظهر الأخطاء، خلافاً للسرية التي تخفيها، يضاف إلى ذلك أن من واجب الدعاة أن يحاربوا في أنفسهم حُبَّ الرئاسة وشهوة الحكم، وأن يعلنوا جهاراً نهاراً، وحقيقةً لا مناورةً، أنهم لا يريدون الحكم لأنفسهم، بل يريدون تطبيق أحكام الله، وأنهم في خدمة مَنْ يفعل ذلك. وهنا يحسن إيراد النصيحة الحكيمة التي طالما كررها الشيخ أبو الحسن الندوي، وهي أنه يفضل أن ينتقل الإيمان إلى أصحاب الكراسي على أن ينتقل أهل الإيمان إلى الكراسي. إن في هذه النصيحة إلهاماً وتوفيقاً من الله عزَّ وجلَّ، وهي جديرة بأن يضعها الدعاة نصب أعينهم دائماً، وفي جميع الأحوال فإن تطبيق أحكام الله لا يتمّ في أية دولة إلا بعد اقتناع الغالبية بها من غير قسرٍ أو إكراه.

81) بل هم مسؤولون

يشيع لدى الكثير من الدعاة أنهم غير مسؤولين عن نتائج جهودهم الدعوية حين تنتهي إلى الإخفاق، وهذا الأمر يحتاجٍ إلى ضابط يحكمه، وإلا فإن في تركه على إطلاقه خطرا كبيراً، أهونه غياب المحاسبة والمساءلة، والمساواة بين المحسن والمسيء. إن الدعاة إذا أخلصوا لله عز وجل، وتحروا الصواب، وبذلوا جهودهم التي يقدرون عليها فهم مشكورون إذا نجحوا، ومعذورون إذا أخفقوا، فإذا غاب واحد من هذه الشروط الثلاثة أو أكثر فإنهم سوف ينتهون إلى الإخفاق، وهم مسؤولون عما انتهوا إليه.

82) استعلاء ولكن

استعلاء المؤمن على الباطل صفة حميدة، تدل على ما يعمر قلبه وعقله، من توكل على الله عز وجل، وثقة راسخة بصحة دينه الذي يدعو إليه، ولكن المؤمن قد يقع في خطأ بالغ، وهو أن يتحول استعلاؤه على الباطل إلى استعلاء على المدعوين، وهذا الاستعلاء المنحرف هو خديعة من خوادع النفس، توهم صاحبها أنه أحسن من الآخرين، وعليه أن يعتزلهم حتى لا تتلوث طهارته بفسادهم، وعلمه بجهلهم، وعلوه بهبوطهم، فإن وصل إلى هذه الحالة فهو ليس من

أهل الدعوة في قليل ولا كثير، بل هو عبء عليها، إن على الداعية أن يستعلي على الباطل لا على المدعوين، بل عليه أن يشكر الله عز وجل الذي شرفه بخدمتهم، وذلك بحبهم، والصبر عليهم، واستثارة مكامن الخير فيهم، وبذلك يكون قد وضع الاستعلاء في مكانه الصحيح، ونجا من خديعة ذميمة من خوادع النفس، إنه استعلاء الحق والمبدأ، لا استعلاء الفرد والحزب.

83) سمرٌ فارغٌ ومخدِّر

ومن خوادع النفس أيضاً أن يتلاقى بعض الدعويين في مناسبات مختلفة، هي إلى السمر الفارغ أقرب منها إلى العمل النافع، فيتحدثون، ويشرّقون، ويغرِّبون، وينتقدون هذا الشخص أو ذاك، وهذه الجهة أو تلك، ويصبون جام سخطهم على شأن من الشؤون، ويتمنون ويسرفون في الأماني في شأن آخر، ثم ينفضون دون عمل نافع وهم يتوهمون أنهم قد أعذروا إلى ربهم، حيث نصروا دينه بما استطاعوا، والحقيقة أنهم لم ينصروا دينه بشيء، بل خدعوا أنفسهم بهذه الثرثرة التي يعودون إليها بين الحين والآخر، تزجية للفراغ، وإرضاء لشهوة الكلام، إن عملهم هذا تنفيس كاذب عما يشعرون به من رغبة في خدمة الدين، يغشون به أنفسهم، ويغشون به بعضهم، ويتبادلون به أكواباً وهمية من

الرضا، ويهربون به من واجباتهم الحقيقية، ويضفون على عجزهم وسلبيتهم وثرثرتهم لبوساً دينياً لا يستحقونه في قليل ولا كثير.

84) وسطية واعتدال

الإسلام دين الوسطية والاعتدال، فهو بعيد عن الطرفين المذمومين: الإفراط والتفريط، وقد امتدح الله عز وجل المسلمين، فقال فيهم: (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً) البقرة:143، أي عدلاً وخياراً ذلك أن خير الأشياء أوساطها، والغلو والتقصير مذمومان، وتظهر وسطية الإسلام في ميادين الحياة كلها التي جاء يبين حكمه فيها لأنه الدين الشامل والخاتم، فالمسلم –مثلاً– لا يزهد في الحياة زهداً يصرفه عن عمارتها، والنهوض بواجباته فيها، فيصبح كَلاً فيها وعبئاً، كما أنه لا يقبل عليها إقبال المسعور الذي يريد الاستكثار الدائم منها، ولكنه يقبل عليها بتوازن واعتدال، وكما وجدنا هذه الوسطية والاعتدال في عمارة الأرض وطلب الرزق، نجدها في العبادة، والإنفاق، والمعاملات، واللباس، والتوازن العادل بين مطالب الفرد والجماعة، والحق والواجب، والجسد والروح، والعقل والقلب، وما إلى ذلك، بلا طغيان ولا إخسار. إن التفريط مذموم لأنه يضيع مصالح الفرد والجماعة، والإفراط مذموم

لأنه مخالف للفطرة الإنسانية التي لا تحتمله، لذلك كان الغلو وسوف يبقى قصير النفس يحمل في طياته بذور فنائه، ومن هنا اختار الله عز وجل للإسلام أن يكون ديناً وسطياً معتدلاً، لأنه خلق الإنسان وكلفه به، وهو أدرى بطبيعته وقدراته وضعفه وقوته.

85) خلافٌ وخلاف

يعلي الإسلام من قيمة الوحدة، ويحثُّ عليها، ويحذر من الفرقة، لكنه يقر بالتنوع البشري الذي لا بد أن يؤدي إلى الاختلاف، الذي هو سنة من سنن الله تعالى في خلقه. والخلاف نوعان: نافع وضار، أما النافع فهو اختلاف الآراء؛ لأنه يغني التجربة الإنسانية،وينسجم مع الطبيعة البشرية، حسبما اقتضته الحكمة الإلهية؛ فقد شاء –سبحانه– أن يخلق الناس مختلفين في: عقولهم، وفهومهم، وطرائق تفكيرهم كاختلافهم في الطباع، والألوان، والأحجام، والأشكال. وأما الخلاف الضارّ فهو: اختلاف القلوب الذي جاءت آيات كريمة وأحاديث شريفة تحرّمه وتنهى عنه، ومن ذلك قوله سبحانه: (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا...) آل عمران:103. إن الاختلاف النافع هو اختلاف تنوّع، وهو كإشعال عددٍ من الشموع كلما ازداد عددها ازداد نورها، لا تطفئ إحداها الأخرى، أما الاختلاف الضار فهو

اختلاف تضادّ يؤدي إلى التنازع والخصام، ويضعف المختلفين جميعاً فيفشلوا وتذهب ريحهم. على أنه لابد من التأكيد أن في الإسلام منطقة مقفلة، لا يجوز أن يصل إليها الخلاف لأنها تمثل ثوابت الدين التي تحفظ للأمة، هويتها، وروحها، ورسالتها، ووحدتها العقائدية والسلوكية والشعورية وهي (العقائد والعبادات والأخلاق والأحكام القطعية)؛ الأمر الذي يستدعي تعلم فقه الخلاف وآدابه، والإقرار بحق الآخرين في الخلاف مادام ذلك في الحدود المسموح بها شرعاً، ومن ذلك؛ التباين في وجهات النظر في الأمور المتعلقة بالوسائل والأساليب القابلة للتنوع والتبدل حسب ظروف الزمان والمكان.

86) هروبٌ وهروب

هناك من أبناء الدعوة من يهرب إلى الماضي المجيد للأمة فيكثر من الحديث عنه والتغني به والانتماء إليه، دون أن يفعل شيئاً قليلاً أو كثيراً مما يقدر عليه، متوهماً أنه بهذا العمل قد أبرأ ساحته من التقصير، وهناك من يهرب إلى الحاضر البائس للأمة فيكثر من الشكوى والبكاء واللوم وإلقاء التبعة –بحق أو باطل– على هذه الجهة أو تلك، دون أن يفعل قليلاً أو كثيراً مما يقدر عليه، متوهماً أنه بذلك قد أخلى مسؤوليته، وهناك صنف ثالث يهرب إلى المستقبل فلا

يعمل شيئاً، مترقباً قدوم الإمام المجدد، أو المهدي المنتظر، أو القائد الملهم، أو البطل المنقذ؛ متوهماً أن قدومه سيكون إيذاناً بحل كل المشكلات، وتحقيق كل الآمال، دون حسبانٍ للسنن المطَّـــردة، والقوانين المحايدة، والعادات الجارية. إن هذه الأصناف الثلاثة إنما تهرب في الحقيقة من مسؤوليتها التي تقدر عليها، وتخترع الأعذار المردودة لعجزها، وتخادع نفسها بنفسها، وهي عبء على العمل الدعوي، وعلى الحياة. إن المطلوب أن يعرف المسلم دعوته، وعصره، ويعرف ما يقدر عليه؛ فيؤديه بإخلاص وإتقان، كبيراً كان أم صغيراً، والقليل على القليل يصنع الكثير، والقطرة على القطرة تصنع النهر، وإذا رأى الله عز وجل من عباده الإخلاص والإتقان قَبِلَ العمل ونمَّاه أياً كان حجمه ففازت منه الأمة بأحسن الثمار وأفضل الأعمال.

87) التعامل مع الفتن

تثور بين حينٍ وآخر فتنٌ ومشكلات وشبهات أمام المسلمين من تطاولٍ على الله عز وجل، أو انتقاص من الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، أو اعتداءٍ على جالية مسلمة، أو على مقدسٍ من مقدسات المسلمين، أو هزء بثوابت الأمة، وما إلى ذلك. وتختلف البواعث الكامنة وراء ذلك فمنها الكره، ومنها الاعتداء، ومنها الجهل، ومنها طلب

الشهرة، ومنها استنزاف جهود المخلصين من أبناء الأمة وصرفهم عن الميدان الحقيقي الذي ينبغي أنٍ تتجه إليه جهودهم. وينبغي للعقل الدعوي أن يكون قادراً على فرز هذه الإثارات، والتعامل معها من خلال النظر إلى البواعث و المصالح والنتائج، فيقابل هذه بالصمت، وهذه بتقديم الرد الذي يفضحها من دون أن يسميها، وهذه بالتصدي لها وتسميتها، وحين التصدي ينبغي للعقل الدعوي أن يحسب حساب ذلك بدقه بالغة، فلا يتجاوزه؛ لأنه إذا تجاوزه يكون قد بدد جهده، ووقع فيما يريده الأشرار من إلهائه وإنهاكه واستنزافه، فيفرحون بذلك، ويهيئون له إثارات جديدة لتستمر لعبتهم معه كما يريدون.

88) حين يكون المفضول أولى

تتعدد الخيارات الفقهية والدعوية لدى الناس،وتختلف باختلاف ظروفهم وأحوالهم وأفهامهم ومستوياتهم العلمية، وليس من الحكمة أن يفرض أحد رأيه واختياره على سواه ولو اعتقد أن ما لديه أصح وأفضل، وأن نلتقي على الصواب خير من أن نفترق على الأصوب، وأن نتعاون في المفضول خير من أن نتشاحن في الأفضل.

89) الدعوة العامة

في ميدان الدعوة العامة، ينبغي أن تعرض الحقائق المسلّم بها، وأن تطوى جانباً خلافات الفقهاء، فضلاً عن المرويات الشاذة، والتأويلات البعيدة، والتفريعات الكثيرة، والافتراضات المحتملة وغير المحتملة، فهذه الأمور لها أمكنتها، وأهلوها يتحاورون فيها من خلال ضوابط دقيقة حسبَ الحاجة، أما عامة الناس والناشئة فينبغي أن ينشغلوا بالأمور العملية النافعة لهم.

90) خصوصية مطلوبة

من واجبنا أن نحب الدعاة العلماء والمصلحين السابقين والمعاصرين، وندعو لهم ونتأسى بهم، لكن لا يجوز لنا أن نقدسهم، ولا يجوز لنا أن ننقل تجاربهم نقلاً حرفياً يتجاهل خصوصيتنا التي ينبغي أن نراعي فيها الزمان والمكان والظرف، وبذلك نجتهد كما اجتهدوا، ونراعي كما راعوا.

91) عادة لا دين

في بعض الأحيان يصبح لبعض العادات والتقاليد والأعراف ثقل كبير؛ بحيث تبدو كأنها دين وما هي من الدين، ويمكن ملاحظة ذلك في الأفراح والأحزان والعلاقات

الاجتماعية عامة، وفي الموقف من المرأة خاصة، وعليه ينبغي لنا أن نميز بين العادة والدين، وأن نحكم على العادة قبولاً أو رفضاً بعرضها على الدين.

92) المؤمن القوي

إن علينا أن نسعى إلى إعداد المؤمن القوي؛ لأنه خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، كما جاء في الحديث الشريف، وكما تكون القوة في العقيدة بالصحة، وفي الإيمان بالعمق، وفي السلوك بالاستقامة، وفي العقل بالوعي، تكونٍ في الجسم بالقوة، وهذا يستدعي منا أن نعنِّى بأجسامنا عنايةً متكاملةً متوازنة؛ وذلك بالحرص على كلِّ ما ينفعها كالغذاء والرياضة والنظافة وما إلى ذلك، والحذر من كلِّ ما يؤذيها كالمخدرات والدخان والخمور وما إلى ذلك، وفي ذلك فوائد جمَّة؛ منها أن تكون هذه الأجسام قادرة على حمل أعباء العمل الدعوي بكلِّ همةٍ واقتدار.

الخاتمة

لقد سقطت الشيوعية قبل عقدين من الزمان، وإن الرأسمالية الغربية تمر اليوم بامتحانٍ عسير؛ فقد اهتزّت مسلماتها الكبرى، وأصبحت قواعدها الأساسية موضع تساؤل كبير، والملاحظ اليوم في الغرب أن عوامل قوته وتفوقه التي ساد بها تتراجع، وأن عوامل الهبوط تأتينا منه كل يوم بجديد، وإن سنن الله عزَّ وجلَّ لا تتخلف، ولا تحابي أحداً.

لم يبق من أحدٍ تؤهله إمكاناته ليكون مَنْ ينقذُ البشرية إلا أنتم يا دعاة الإسلام، فكونوا على مستوى دينكم، وعلى مستوى عصركم؛ لتكونوا ربَّان السفينة، فتحسنوا إلى أنفسكم، وإلى الناس أجمعين، من مسلمين وغير مسلمين.

إن مسؤوليتكم عامة تمتدُّ في الزمان والمكان والإنسان، ودعوتكم هي خطاب الرحمة، وشريعة التخفيف، ورفع الحرج والأغلال، والرفق بالناس كل الناس في الأرض كل الأرض، وعليه ينبغي لكم أن تعوا مهمتكم وعياً جيداً، وتعلموا أنكم دعاة لا قضاة، ومصلحون لا ثوار، وبناؤون لا هدّامون، وراحمون لا حاقدون، تعملون بروح الأب مع أبنائه، والطبيب مع مرضاه، لا بروح السجَّان الذي يبطش، والموتور الذي ينتقم.

إنكم حين تفعلون ذلك تكونون راشدين بل مرشدينٍ، ومهتدين بل هادين، وتكونون الأنفع لعباد الله عزّ وجل، والخلق عيال الله، وأحبهم إليه أنفعهم لعياله، عندها سيعطيكم الناس –وعن طواعية– زمام قيادتهم إلى الخير والنور والسلام.

إن هذه المذكرة تضم مجموعة من القواعد المقترحة، وهي من مبتداها إلى منتهاها حصيلة خبرة طويلة، وقراءة مستمرة، ونظر فاحص، ومعاناة وتجربة ومتابعة؛ يراد لها أن توضع بين أيدي المسلمين بشكلٍ عامٍ، وحكمائهم بشكل خاصٍ؛ لتكون ميثاقاً للعمل الدعَوي، ودستوراً للفكر والممارسة؛ بحيث تزداد مساحة الوفاق، والصواب، والفاعلية، وتقلُّ مساحة الخلاف، والخطأ، والعطالة.

والمأمول أن تحظى من العاملين للإسلام بدراسة عميقةٍ، تنتهي بإبداء الرأي فيها حذفاً، وإضافة، ودمجاً، وتعديلاً، وتقديماً وتأخيراً، واقتراحاً، وتقويماً.

وإننا إذ نَعِدُ الإخوة الكرام الذين يتفضلون بالكتابة إلينا أن كتابتهم ستكون محل العناية والتقدير والشكر، نطلب منهم أن ينظروا إلى هذه المذكرة على أنها منهم وإليهم، فليكتبوا ما يشاؤون مشكورين مأجورين.

إن طرح الأفكار في النور، ومناقشتها في العلن، هو الأسلوب الأمثل لمعرفة ما فيها من خطأ أو صواب، ومن

هنا جاءت الرغبة في استثارة الهمة لدى المعنيين بأمر الدعوة؛ للاستفادة من آرائهم فيها، بهدف تحسينها؛ لتكون أقرب إلى الكمال، فتكون بذلك جديرة بأن توضع بين أيدي المنظمات والجمعيات الإسلامية، فهي هديتنا إليها، تأخذ كل منظمة وجمعية منها ما يناسب خصوصيتها، وتضيف إليها، وتطور فيها، وفي ذلك خير كثير بإذن الله عزَّ وجلَّ.

ومن الله العون والتوفيق، نسأله سبحانه أن يوفقنا لمرضاته، ويستعملنا في طاعته، إنه على كل شيء قدير.